BEAUTIFUL TROUBLE

النضال الأفريقي الجميل:
أدوات وتجارب تحررية من القارة الأفريقية

فريق التحرير والإعداد: جمان أبو جبارة • سونغو أويو • فيل والموت • أندرو بويد

بتمهيد من: آية الشابي • جديديا مابيلا • جاي نايدو

فريق الترجمة والتدقيق: ريم منيع • جمان أبو جبارة • إبراهيم الطراونة

النضال الأفريقي الجميل:

أدوات وتجارب تحررية من القارة الأفريقية

فريق التحرير والإعداد:

جمان أبو جبارة

سونغو أويو

فيل والموت

أندرو بويد

متوفر أيضا باللغة:

الفرنسية

العربية

البرتغالية

@

www.beautifultrouble.org

نشرت من قبل:

تمهيد

تتميز افريقيا بتاريخ حافل يعج بقصص حركات المقاومة، وهو أمر له مبرراته الوجيهة.

بفضل قوة الشعب، ساهمت حقبة إنهاء الاستعمار في أفريقيا في الستينات في إنشاء دول مستقلة وذات سيادة. ومع انتهاء الاحتلال الاستعماري، وتحت ما أطلق عليه «التحول الديمقراطي»، فرضت الدول الاستعمارية نماذج الحكم الغربي على الشعوب الأفريقية. وقيل أننا نشارك في حكم بلداننا من خلال الانتخابات ولكن، في الواقع، أصبحت أفريقيا مجرد مالك الأرض لهذه الواجهة التي تسمى بالديمقراطية — ولا تختلف كثيرا عن الديمقراطيات الزائفة التي تتبناها القوى التي استعمرت القارة. قد يكون الفرق الوحيد هو أن الديمقراطية الأفريقية مترافقة مع المزيد من التناقضات البارزة التي تتجلى في تطبيع البطش والاحتيال السياسي.

الآن، وفي عصر الليبرالية الجديدة، حيث ينحني الجميع وحتى أقوى الطغاة وأكثرهم وحشية أمام قوة رأس المال الأجنبي، تبقى أسطورة «الديمقراطية من خلال الانتخابات» أكثر قمعية. علينا تفكيك هذه الأسطورة ويجب أن تعكس الانتخابات إرادة الشعب وليس إرادة رأس المال. وإذا كانت الديمقراطية موجودة فعلاً — وهي قضية لا ينبغي أن نعتبرها من المسلمات — يجب أن يكون احترام الأرض والثقافة وقيمة وكرامة الإنسان المتجذرة في أسلوب حياة أسلافنا جوهر هذا المبدأ.

وللأسف، مع تآكل الحكمة الأفريقية التاريخية الأصيلة وتمزق النسيج المجتمعي، أصبحت الحالة الاجتماعية والاقتصادية لأغلبية الأفارقة تتميز بالفقر البنيوي. ومن الطبيعي أن تكون المقاومة لهذه الحالة شرسة، حيث يفجر عدم إمكانية الحصول على الخدمات الاجتماعية الأساسية مثل التعليم والصحة والكهرباء ومياه الشرب النظيفة الغضب الشعبي. وفي جميع أنحاء القارة يكافح سكان أفريقيا من أجل وجودهم – من أجل احتياجاتهم الثقافية والسياسية وحتى الفسيولوجية. تأخذ هذه المقاومة أشكالا عديدة: الحركات الشعبية والجمعيات المدنية وتحالفات المنظمات غير الحكومية وتكتلات الفنانين والمجتمعات الدينية والنقابات العمالية.

في عام ٢٠١٨، عقدنا تجمعاً للنشطاء والمنظمين والمنظمات الأفارقة في أروشا/تنزانيا، التي تنبثق منه مباشرة ترسانة الرؤى التي تحملونها بين يديكم والنسخة الأفريقية للنضال الجميل. انها مجرد محاولة أولية لتوثيق الحكمة الأفريقية في مواجهة الاستبداد إذ انها إن لم توثق قد تتلاشى هذه المعرفة وتندثر. ولكن الآن، يمكن للنشطاء في جميع أنحاء أفريقيا وبقية العالم الاستفادة منها وتحليلها.

منذ ذلك التجمع، ساهم المشاركون/ات في الإطاحة بحكام مستبدين وتحقيق إصلاحات سياسية ومناصرة الحملات الناجحة في بلدانهم بما في ذلك فوز حملة إدراج النساء الناطقات بالانجليزية في النظم السياسية في الكاميرون والإفراج عن معتقلين سياسيين في جمهورية الكونغو الديمقراطية وموزمبيق، وكذلك حماية الأراضي المشاع في أوغندا من الاستيلاء. وهذا كله يؤكد من جديد مدى أهمية تبادل تجارب النضال المنظم من قبل الزملاء والزميلات النشطاء لجعل حركاتهم أكثر قوة و لتوطيد علاقات التضامن مع بعضهم البعض من أجل نضالنا الجماعي.

هذه النسخة الخاصة من النضال الجميل (والمتوفرة بالإنجليزية والفرنسية والعربية والبرتغالية) تسلط الضوء على جمال وحكمة المقاومة الأفريقية في القرن الحادي والعشرين، وهي دعوة للزملاء والزميلات الثوريين القريبين والبعيدين لمعرفة المزيد عن كفاح بعضهم البعض وتحليلها لتصبح أكثر استراتيجية في معاركهم المحلية ومشاركة قصصهم وطرق التغيير الخاصة بهم مع العالم.

مستمرون بالنضال،

جديديا مابيلا وآية الشابي وجاي نايدو

المقدمة

قد يبدو الوضع العالمي الحالي محبط للغاية لأي شخص مهتم بالعدالة الاجتماعية، إلا أنه مازال هناك العديد من الأشخاص في شتى أنحاء العالم يجابهون القمع والعنف وعدم المساواة بشجاعة استثنائية وإبداع غير مسبوق.

ولا سيما في السنوات الأخيرة فقد حقق الأفارقة انتصارات ملفتة في مقاومتهم/ن للوضع الراهن كما رأينا في الانتفاضات الشعبية في أنغولا والسودان والجزائر وغامبيا وإثيوبيا. وبالرغم من ذلك، فإن القليل من الحركات تلجأ إلى النضالات الأفريقية للإستفادة من هذه الحكمة التي اكتسبت بأغلى ثمن.

لقد شاهدنا هذا من قبل. فالكثير من المعرفة الإنسانية من الزراعة إلى الميتافيزيقيا تجد جذور عديدة لها في الوطن الأم — القارة الأفريقية — ولكن يتم الآن استكشاف هذه المعرفة من خلال عدسات الحضارات الأكثر ثراءً ودموية. وقد كان إهمال حكمة هذه القارة أحد الأسباب التي أدت إلى نمو أشكال معرفية حديثة تهوي اليوم بالبشرية نحو الهلاك.

لملأ هذا الفراغ، تجمعت مجموعة إستثنائية من الشباب الإفريقي تمثل نضالات وفئات عدة في عام ٢٠١٨ في أروشا/ تنزانيا (مدينة ذات أهمية تاريخية للقوميين الأفارقة) لتبادل الدروس التي تعلموها من خلال تجارب قاسية ولمشاركة قصص المقاومة التي خاضوها. وفي هذه النقطة الفاصلة بين كيب تاون والقاهرة، وضع هؤلاء الشباب والشابات الأساس لنظرية أطلقوا عليها اسم «الوحدة الأفريقية الجديدة» (New Pan-Afrikanism).

وتفترض نظرية الوحدة الأفريقية الجديدة أن المشاكل البارزة التي تواجهها القارة في عصر الليبرالية الجديدة هذه يمكن مواجهتها من خلال مواطن القوة الفريدة للشباب الأفارقة. سواء أكان ذلك من خلال استخدام «باراز» (الديوانية) كوسيلة لصنع القرار الجماعي أو توظيف «الرثاء» كتكتيك احتجاجي، فإن الشباب الأفريقي يستعيدون تقاليد القارة كأدوات حديثة للتغيير الاجتماعي.

في هذه النسخة، يسعى «النضال الجميل» لتوثيق هذه الإبتكارات والأفكار المتنوعة وجعلها متاحة بسهولة وبأربعة لغات (الإنجليزية والعربية والفرنسية والبرتغالية) للنشطاء والمدافعين عن العدالة في الخطوط الأمامية في كل أنحاء أفريقيا وبقية العالم.

لقد اتبعنا نموذج «صندوق العدة» الخاص بالنضال الجميل (Beautiful Trouble) والمكون من عدة وحدات صغيرة، كل وحدة بحجم فكرة واحدة فقط ولكنها مرتبطة ببعضها البعض بوضوح على شكل قصة أو تكتيك أو مبدأ أو نظرية أو منهجية.

يحتوي هذا المجلد على مجموعة من أدوات ذات أهمية العالمية، متجذرة في القارة الأفريقية. وتشمل الأمثلة «نظرية: الدولة العميقة» التي تُنبهنا إلى الألاعيب التي تستخدمها الأنظمة الحاكمة للتحايل على الثورات الشعبية وتحويلها إلى انقلاب شكلي. أو «مبدأ: لنُعط الصوت لمن لا يستطيع الكلام» الذي تم استخدامه من قبل أشجار غابة أتيوا في غانا عندما قالوا للتيار البيروقراطي في الحكومة: «أنا استنشق ٣٠ طن من ثاني اكسيد الكربون يومياً»، ومثال آخر هو «قصة: كيسنغاني تطالب بالتيار الكهربائي» حيث تحكي كيف نجح مجتمع كونغولي في إشعال المقاومة لطرد مدير غير كفؤ لشركة الكهرباء وترميم البنية التحتية.

النضال الجميل (النسخة الأفريقية) يزخر بالأفكار والرؤى من الرفاق في جميع أنحاء أفريقيا. وقد لا يكون هذا الجهد سوى خطوة واحدة نحو تقويض الاستعمار وتحرير القوة الشعبية من الإرث الاستعماري وإعادة تركيزها في الجنوب العالمي. ولكن دعونا نضعها في حيز التنفيذ بشجاعة وإبداع ونواصل البناء عليها في كل فرصة ممكنة.

المخلصين لكم في التضامن،

فريق التحرير/النضال الجميل.

المحتوى

تكتيكات ٦

الاعتقال المدني ٧, العصيان الثقافي ٩, الرثاء ١٠, الاضراب عن الطعام ١١

مبادئ ١٣

التصعيد الإستراتيجي ١٤, لنكشف انعدام المساواة بلفتة جريئة ١٥, لنعط الصوت لمن لا يستطيع الكلام ١٦, التضامن لا المعونة ١٧, التهديد عادة ما يكون أكثر رعبا من الفعل ١٨, الاستراتيجيات التنظيمية القابلة للانتشار ١٩

النظريات ٢٠

الجيرونتقراطية (حكم المسنين) ٢١, الدولة العميقة ٢٢, الوحدة الأفريقية الجديدة (نيو بان أفريكانيزم) ٢٣

قصص ٢٤

كيسنغاني تطالب بالتيار الكهربائي ٢٥, أنغولا ١٥+٢ ٢٧, أعيدوا فتياتنا ٢٩, حركة فلتسقط الرسوم ٣١, قررت_غامبيا ٣٣, مجمع غانا الفكري٣٥, مانيش مسامح ٣٧, تخرج الشوارع ٣٩, هذا_العلم ٤٠

منهجيات ٤٢

بارازا (الديوانية) ٤٣

تكتيكات

هي أشكال معينة للعمل الإبداعي، مثل فلاش موب أو حصار

تكتيك

الاعتقال المدني

سنة 2017، في موبو بأوغندا، القى السكان المحليين القبض على أحد كبار ضباط الشرطة بسبب توقيفه لأحد البرلمانيين المحليين الذي كان قد عارض مقترحاً لتعديل دستوري من شأنه ابقاء الرئيس يوري موسيفيني في الحكم.

«إن القوانين كخيوط العنكبوت... يجتازها الذباب الكبير، أما الصغير فيعلق بها.» -أونوريه دي بلزاك

يعد الاعتقال المدني شكلاً من أشكال **التحرك المباشر** حيث يقوم المواطنين بالقاء القبض على شخص يعتبرونه مجرماً. يمكن لهذا النوع من الاعتقال أن يكون فعلي أو رمزياً. يكون للاعتقال الفعلي بعداً ملموساً كتحويط سيارة مسؤول فاسد من كافة الجهات حتى تصل الشرطة لتقوم باعتقال رسمي. أما بالنسبة للتوقيف الرمزي، قد يتمثل بمذكرة توقيف رمزية لمدير تنفيذي لشركة ما تسعى لعرقلة الإصلاح في قطاع الصحة، على سبيل المثال، معتبرين ذلك بمثابة جريمة القتل بغير عمد. تعود هذه الممارسة شبه القانونية إلى القانون الإنجليزي المشترك في القرون الوسطى حيث كان عُمد الشرطة يشجعون المواطنين العاديين على المساعدة في القبض على من يخالف القانون.

سنة ٢٠١٨ في بوشينبي بأوغندا، تم منح مهندس المقاطعة، ديوس باينغانا، ١٠٠ ٠٠٠ دولارا أمريكيا لاصلاح الطرقات المحلية إلا أنه لم يقم بذلك. فخرج مئات المواطنين الغاضبين إلى مقر المقاطعة دافعين المهندس بالهروب إلى سيارته حيث اشتبك هناك مع المواطنين الذين قاموا بتطويق سيارته وقطع اطارات عجلاتها، الأمر الذي كان مثيرا للسخرية علماً بأن المال المختلس كان مخصصا للطرقات. في النهاية، قامت الدولة بإصدار لائحة اتهام ضده واجباره على اصلاح الطرقات.

سنة ٢٠٠٣، شن الرئيس الأمريكي جورج بوش ورئيس الوزراء البريطاني توني بلير حربا عدوانية وغير مبررة على العراق أدت إلى الخراب والدمار المذابح. ومع ذلك، وبعد أكثر من عقد على العدوان، لم يتم اعتقالهما أو محسابتهما على الجرائم المرتكبة. دفع هذا الظلم الفادح الصحفي البريطاني جورج مونبيوت إلى اطلاق حملة **"اعتقلوا بلير"**، مما ألهم عدد كبير من المواطنين الشرفاء إلى محاولة اعتقال بلير بموجب «قانون اعتقال المواطن». بالرغم من أنه لم يوافق على تسليم نفسه إلى مركز الشرطة المحلي، إلا أن هذه «الاعتقالات» نجحت في تسليط الضوء على جرائم الحرب البشعة التي ارتكبها بلير، كما ونجحت في تحدي ثقافة الإفلات من العقاب التي مكنت هؤلاء المجرمين من ارتكاب جرائهم دون مساءلة.

واذا أردنا مقارنة حملة اعتقال بلير بمثال بوشينبي والذي يعتبر تحرك أكثر راديكالية، فسوف نرى بأن نموذج بلير هو نسخة ناعمة من ذات التكتيك، سواء أكان تنفيذه مسرحياً أو استعراضياً أو رمزياً. ومن الجدير بالذكر أمثلة أخرى للنموذج الناعم من الاعتقال المدني **كالمشهد** في فيلم الرأسمالية: قصة حب الذي حاول فيه مايكل مور، مخرجاً في الانتاج السينمائي السياسي، بتنفيذ اعتقال مدني ضد كل شخص في وول ستريت. وبالمثل، شارك هذا المؤلف سنة ٢٠٠٩ في تجمع للمواطنين حاولت فيه مجموعة من كبار الشخصيات من رؤساء الاتحادات العمالية دخول أحد الفنادق في العاصمة الأمريكية حيث كان يختبأ مسؤولين تنفذيين في قطاع التأمينات الصحية اذ كان يهدف التجمع إلى تنفيذ اعتقال مدني لأولئك المسؤولين بتهمة «جريمة قتل بغير عمد» بسبب تآمرهم ضد اصلاح الخدمات الصحية العامة.

تصاحب كلا النماذج الناعمة والراديكالية من تكتيك الاعتقال المدني مستويات مختلفة من المخاطر التي تختلف بشكل ملحوظ من دولة إلى أخرى ومن سياق إلى آخر. وتجدر الاشارة أيضا إلى أن هذا التكتيك يمكن استخدامه، للأسف، من قبل المجموعات الأكثر قوة، وأحيانا الأكثر عنصرية، ضد الفئات المستضعفة. فعلى سبيل المثال، قام حرس الحدود على امتداد الحدود بين الولايات المتحدة الأمريكية والمكسيك سنة ٢٠١٩ بتنفيذ **«اعتقال مدني جماعي» ضد المهاجرين واللاجئين** مما يدفعنا إلى التساؤل عن الأخلاقيات (**المشهد الأخلاقي :نظرية** انظر) التي يجب أن توجه كيفية تنفيذنا لتكتيك الاعتقال المدني؟ فكرنا بالآتي كأسس أولية:

مواجهة المتنفذين وأهل السلطة - يجب أن يكون الاعتقال المدني وسيلة للناس الأقل قوة لمحاسبة الأقوى وذوي السلطة في المجتمع.

السلمية - إن الاعتقال المدني ليس عملية اختطاف أو عملية سوداء ولا عملا ارهابيا أو ترهيبا، ولا يجب أن يشعر المتلقين للتكتيك بأنهم يتعرضون لذلك.

القصدية - لتكن دوافعنا واضحة ولنخطط بعناية ونحافظ على وحدة صفوفنا. فلنتبع البروتوكولات القانونية والثقافية الخاصة في سياقنا وإذا قررنا تجاوزها، فعلينا أن نقوم بذلك بحكمة وتأني.

الشفافية - لنقم بتنفيذ الاعتقال في الأماكن العامة وفي وضح النهار. اذكر/ي أسباب الاعتقال بوضوح وقدم/ي أدلتك. ويمكنك حتى دعوة أحد المتفرجين من العامة للشهادة و/أو المشاركة في الاعتقال.

الارتكاز - لا تجري الاعتقال قبل بذل العناية الواجبة والقيام بالبحث والتخطيط اللازم. لنتأكد من أن تبريرنا للاعتقال واضح ومنطقي ومدروس.

عندما ننفذ تكتيك الاعتقال المدني، فاننا نسعى لتحقيق العدالة بأيدينا حرفياً ورمزياً. قد يكون الاعتقال المدني ضرورياً وغالباً ما ينتج عنه قوة تمكينية هائلة ولذلك فقد يصبح خطراً. ولكن، عندما تبقى أهدافنا واضحة وعندما نتبع أسس أخلاقية سليمة، فستكون العدالة قد رست في أيدي أمينة.

المبادئ الأساسية

المحافظة على الانضباط السلمي

في التخطيط للاعتقال المدني، علينا توقع ردة فعل خصومنا اذ أنهم سيحاولون اتهامنا بالشغب والفوضى بغض النظر عن سلمية ولباقة تنفيذنا للتكتيك ومع ذلك فلا يجب أن نجعل ذلك الاتهام سهل التوجيه. استباقاً لهذا الرد، يجب علينا أن نحافظ على انضباطنا السلمي، الشيء الذي سيأخذ أشكالاً مختلفة حسب السياق المحلي. فمثلاً، عندما تم اعتقال السيد باينغانا في أوغندا بسبب اختلاس العوائد الضريبية، قام المواطنون بقطع عجلات سيارته لمنعه من الفرار ولم توجه الدولة تهمة «تدمير الممتلكات» لأي من المشاركين بعد أن أمسكوا به وقاموا بتسليمه للشرطة. أما في الولايات المتحدة الأمريكية، فلا يجب أن يمس المواطنين الشخص المعني جسدياً ضد ارادته/ا إن كانوا يرغبون في التصرف وفقا للقانون المحلي.

كما علينا مراعاة الحقوق القانونية والعوامل الثقافية وغيرها من الاعتبارات لتحديد كيفية تنفيذ الاعتقال بشكل دقيق. لنأخذ بعين الاعتبار هذه العوامل ومعرفتنا بالسياق المحلي عندما نقرر متى يكون لدى استخدامنا للقوة تبريراً استراتيجيا، ومتى يجب علينا الامتناع عن استخدام القوة لكي لا تصنف بالعنف.

المخاطر المحتملة

عندما ننفذ القانون بأيدينا عوضاً اتباع مجراه الرسمي، فإننا نقوم بالمخاطرة تحديداً لأن الأشخاص المستهدفون لن يتقبلون محاولة الاعتقال المدنية هذه. فقد يقاومون بعنف بالرغم من تمسكنا بانضباطنا السلمي وتقديمنا للأدلة التي تثبت جرائهم والحجج الأخلاقية الصلبة وكذلك الدعم الشعبي المؤيد لهذا الاعتقال. ومن جهة أخرى، قد تشعر السلطات والجهات الرسمية بأن الاعتقال المدني هو تهديد لشرعيتهم وانتقاص من دورهم في تنفيذ القانون وبذلك قد تكون ردة فعل القوى الأمنية عنيفة. وأخيراً، اذا لم يكن أعضاء فريقك ذو نوايا حسنة وأهل لأخلاقيات هذه العمل، فمن الممكن أن تدهور الأمور لتصبح عدالة غوغائية كعدالة العصابات. اذاً، ما الذي يمكننا فعله للتخفيف من وطأة المخاطر المحتملة؟ أولاً، علينا التنبؤ بها والتخطيط لكل ما نتوقعه من تحديات. كما ويجب أن تكن نوايانا شفافة وعلينا التمرين والتدريب مع فريقنا قدر الامكان قبل القيام بأي عمل كان. والأهم من ذلك كله، لا بد أن نحافظ على الانضباط السلمي.

بالاضافة إلى هذه المخاطر الشخصية، فهناك مخاطر قانونية أيضاً، والتي قد تختلف من دولة إلى آخر. في بعض البلدان، يعتبر القيام بالاعتقالات المدنية حقا قانونيا، ولكنه يتطلب اتباع بعض البروتوكولات المعلنة. إن كنت تخطط لتنفيذ اعتقال قانوني، فتأكد من دراسة القانون وتداول حيثياته التي من شأنها أن تجعل العمل أكثر تعقيداً لكي تكون على استعداد تام وتتجنب النتائج العكسية. يحتوي موقع ويكيبيديا على ملخص للقواعد الخاصة في اجراء اعتقال مدني في بعض الدول، كما تقدم التحذير التالي:

«أي شخص يقوم باعتقال مدني قد يعرض نفسه/ها لدعاوى قضائية أو تهم جنائية، منها التهم التالية: الاعتقال بدون مسوغ قانوني، وتقييد حرية الآخرين، والاختطاف والسجن الباطل اذا ما تم القبض على شخص آخر بالخطأ أو انتهاك الحقوق المدنية للمشتبه به. وقد يكون الأمر أكثر حساسية عندما تحاول قوى الأمن بتحديد المعتدي والمعتدى عليه. لا يتمتع المواطنون العاديون القائمون على اعتقال مدني بنفس الحصانة من المسؤولية التي يتمتع بها عناصر الشرطة عند اعتقالهم لمواطن عادي».

وأخيراً، فلنتذكر بأن المجرمين، ومنهم أولئك الذين يطالبون بتقنين البطش والغوغائية، يتمتعون بمهارة مشهودة في الهروب من العدالة التي تطال غالبية الناس. اذا كنا نريد أن نضع مجرم أو مسؤول ما خلف القضبان حقاً، فلا بد لنا من أن نتصور كافة السيناريوهات المحتملة حتى لا يفلت خصمنا من العقاب.

«يجب أن يكون الاعتقال المدني وسيلة للناس الأقل قوة لمحاسبة الأقوى وذوي السلطة في المجتمع».

العصيان الثقافي

تشيبو موديسان وثوباجوبي سيثولي يدمجان عادات الزولو والتسوانا في أول زواج مثلي تقليدي بجنوب أفريقيا سنة 2016.

فيونا كيوكوسيما

"إن كنت تحاول أن تبقى عاديا، فلن تعرف مدى روعتك أبدا." -مايا أنجلو

كما ينتهك العصيان المدني القوانين المجحفة، يقوض العصيان الثقافي بشجاعة الأعراف الثقافية البالية. ربما نعتقد أن الثقافة أكثر ليونة ومرونة مقارنة بالمؤسسات والقوانين، ولكن في العديد من المناطق تكون المحرمات الثقافية قوية جدا لدرجة أنها تصبح راسخة كالقانون، بل وتعتبر قانونا فعلي في مناطق أخرى.

يتطلب القضاء على مثل هذه الأعراف الثقافية المجحفة إرادة قوية وإستراتيجية دقيقة.

في أراضي أنكولي، وعلى غرار مناطق أخرى في غرب أوغندا، يحظر على النساء ممارسة مجموعة من النشاطات التي يعتبرها باقي العالم تجربة إنسانية طبيعية، كالصفير، وتسلق الأشجار، وركوب الدراجات. في اليوم العالمي للمرأة عام ٢٠١٨، نظمت مجموعة من الشابات مسابقات تهدف إلى كسر المحرمات، بما في ذلك سباق للدراجات. اعتبرت الفعاليات شديدة التمرد ضد الأعراف الأبوية بالمنطقة، لدرجة أن النساء حظين باهتمام واسع من وسائل الاعلام الوطني. وبعد شعورهن بالدعم، قامت عدد من راكبات الدراجات بتشكيل «نادي روكاراروي لراكبات الدراجات" (Rukararwe Women Riders' Club)، والذي استخدم أسلوب التمكين المصاحب لكسر المحرمات مثل قوافل الدراجات النسائية كمصدر إلهام في تنظيم أنشطة تسعى لمجابهة العنف المنزلي. إضافة الى انتخاب نساء لمناصب القيادة المحلية، وإقناع العديد من الجيران الذكور بأن تمكين المرأة ليس تهديدا للمجتمع وإنما وسيلة لتمكينه.

وفقا لاستقصاء أجرته الأمم المتحدة عام ٢٠١٢، تجبر أكثر من نصف الفتيات في مالاوي على الزواج قبل سن الـ١٨ عاما. حاربت قيادية في منطقة وسط مالاوي، **تيريزا كاشينداموتو** ضد مخيمات «الجنس المبكر» وقامت بالغاء أكثر من ٨٥٠ من زيجات الأطفال (**استغلال سلطة الدولة لبناء قوة الناس: مبدأ** انظر). لهذا سميت بـ «المبيدة".

بالنسبة للمثليات والمثليين ومزدوجي الميل الجنسي ومغايري الهوية الجنسية وغيرهم (LGBT+) في معظم المجتمعات الأفريقية، فإن وجودهم مقاومة بحد ذاتها. وبينما ظهرت بعض المسيرات والمهرجانات الفخرية حول أرجاء القارة، قام رجلان من جنوب أفريقيا بعقد قرانهما في حفل زفاف تقليدي سنة ٢٠١٣. وإضافة لاعترافهما بحبهما، فقد كانا يأملان في إيصال رسالة مفادها: «كونك مثلي لا يقل أفريقية عن كونك أسود البشرة".

لماذا قد نستخدم العصيان الثقافي؟

١. للكشف عن أي اضطهاد مستتر.
٢. لكسر المحرمات الاجتماعية علنا، أو **الهام الآخرين لمحاربتها**.
٣. لوضع الأمور التي يجب أن تكون طبيعية في إطارها الصحيح.
٤. **لتصور مجرى الحياة بدون عرف ثقافي ظالم**، وتذكير الناس بأن تحقيق بديل آخر مازل ممكنا.
٥. للتضامن مع الذين **لا يمكنهم عصيان الثقافة بطريقة آمنة**.
٦. **لتسليط الضوء** على ظلم اجتماعي بطريقة استعراضية.

ليس شرطا أن تكون أعمال العصيان الثقافي استعراضية. في الحقيقة، نحن نشارك يوميا في أعمال عصيان ثقافي صغيرة أو خفية أحيانا في كل مرة نخرج فيها عن المعايير المتوقعة منا. الخصوم المعتادة للعصيان الثقافي هي الأنماط الجندرية والجنسانية المهيمنة، ولكنها لا تنحصر في ذلك، فهي تسعى لتقويض المحرمات الثقافية المجحفة المتعلقة بالعمر، والطبقة، والقدرة، والعرق، والدين، واللغة، والأيديولوجية السائدة.

في القرن الـ٢١، ومع ازدياد التنظيمات التقديمية في قصديتها بالتشبيك مع نضالات متعددة، أصبح العصيان الثقافي وسيلة قوية للتغيير الاجتماعي. عندما نستطيع دمج تمردنا الفردي وتعبيرنا عن ذاتنا مع قوة أكبر، لا يصبح العصيان الثقافي قادرا على خلق حوار عام حول مفهوم الصواب والخطأ فقط، بل وإحداث تغييرات اجتماعية عميقة ودائمة.

كلنا نواجه أعرافا ثقافية غير عادلة، وكلنا نتمرد ضدها في لحظة ما من حياتنا. لكن تمردنا سيكون أقوى إن امتلكنا خطة ونفذناها بشكل جماعي.

المخاطر المحتملة

يأخذ العصيان الثقافي أشكالا عديدة تختلف مخاطرها من سياق لآخر. تؤدي الأفعال المتطرفة للعصيان الثقافي إلى إثارة المتاعب، ليس فقط من سلطات الدولة، وإنما من أطياف المجتمع المحافظة أيضا. عبر التاريخ، تعرضت النساء للفضح، والضرب، والاغتصاب وحتى القتل لمحاولتهن القيام بأشياء عادة ما تكون حكراً على الرجال. أُعدمبيمبت تل، أمريكي من أصل أفريقي عمره 14 سنة، بوحشية ودون محاكمة في منطقة جيم كرو بولاية ميسيسيبي لأنه «نظر بطريقة خاطئة» إلى امرأة بيضاء. التغيير الاجتماعي عملية تتطلب الشجاعة والحكمة في تقدير المخاطر.

إضافة إلى ما سبق، قد تتم إساءة فهم مجريات العصيان الثقافي من قبل المتفرجين، أو قد تحرض على نقاش عام لا صلة له بالهدف الأساسي. عند التخطيط لعصيان ثقافي، علينا أن نفكر في ردود الناس المتوقعة، صائبة كانت أم خاطئة، وأن نتأكد من أن ردودهم (**الفعل الحقيقي هو رد فعل خصمنا: مبدأ** انظر) تساعدنا على المضي قدما بالسردية التي نريدها نحن. ولذلك، فعلينا أن نتأكد من وضوح أهداف أعمالنا، أو في حال تصميمنا للعصيان الثقافي بشكل مربكا عن قصد، فلنتأكد من أنه قادر على خلق فضول أو جدل كاف لتسيير النقاش العام باتجاه مثمر.

من مخاطر العصيان الثقافي تسليطه الضوء على الأعمال التمردية عوضا عن التركيز على أساس المشكلة. عندما اتخذ ولين كابرنيك، لاعب خط الوسط الدفاعي بالدوري الوطني لكرة القدم الأمريكية، وضعية الجلوس على الركبة أثناء النشيد الوطني، دار النقاش حول عدم احترامه المفترض للعلم، في الحين الذي حاول فيه هو تسليط الضوء على وحشية الشرطة. لذا يجب أن يستعد ممارسو العصيان الثقافي لمواجهة دعاية المعارضة ضدهم.

«كلنا نواجه أعرافا ثقافية غير عادلة، وكلنا نتمرد ضدها في لحظة ما من حياتنا».

الرثاء

في 7 سبتمبر/أيلول 2018، اجتمعت نساء منطقة شمال-شرق الكاميرون في ملعب باميندا للرثاء على عمليات القتل المستمرة في المنطقة وآثار الحرب عليهم وعلى عائلاتهم

كلوتيلدا أنديسا

«السياسة في عصرنا هي سياسة منكسري القلب» - باركر بالمر

رثاء الميت ممارسة قديمة للبكاء والنحيب العلني، احتفظت بقدرتها على التشهير بالعنف، خاصة في دول الجنوب العالمي.

غالبا ما يستخدم الرثاء كرد على ظلم مجحف، كالقتل والحرب وغيرها من أشكال العنف المفرط. فهو يثير الاهتمام والتعاطف، ويلقى صدى عند أولئك الذين يكافحون يوميا للعيش تحت وطأة العنف، وغيره من أشكال الظلم. كما أنه غالبا ما يكون أكثر فاعلية عندما يمارس من قبل النساء.

عندما تتحسر النساء علنا ويطالبن بالاستجابة لصرخاتهن بأفعال ملموسة، فهن يعبرن عن ذلك بسلطة أخلاقية وقوة عاطفية لا يمكن إنكارهما.

في آب (أغسطس) وأيلول (سبتمبر) ٢٠١٨، اجتمعت النساء الكاميرونيات الناطقات بالإنجليزية في مدينتي بويا وباميندا لرثاء الحرب الأهلية التي قامت على أرضهن وتسببت في إصابة وقتل الآلاف. أدت هذه المبادرة إلى التخفيف من شدة الهجمات. ثم في أيار (مايو) ٢٠١٩، تم تنظيم رثاء آخر في هاتين المدينتين لمواجهة رئيس الوزراء الذي رضخ لمطالبهن لاحقا بتنظيم حوار للسلام.

في العديد من المجتمعات الأفريقية، تنظم النساء هذه التحركات العلنية بعد استنفاذ كافة الخيارات ويكون ذلك مفهوم ضمناً. فعندما يقمن بالرثاء، يفهم الجميع بأنها حالة قصوى، ويكون متوقعا من المجتمع كافة، بما فيهم الرجال، تحمل المسؤولية واتخاذ إجراءات لفرض السلام أو إنهاء الظلم القائم. ويعتبر تجاهل هذه المسؤولية إهمالا متعمدا لمن يرزحون في ظل الأزمة.

حقق استخدام الرثاء حول أفريقيا نتائج مذهلة. ففي عام ٢٠٠٧، انتحب مجتمع الياتوي، وهم السكان الأصليون في الأراضي البرية لجبل إلغون، من على قمة جبلهم لثماني ساعات متواصلة، صارخين: «أطفالنا يموتون». بدافع الخجل والعار، خصصت الحكومة الأوغندية أراض لتوطينهم مؤقتا ووعدتهم بتوفير إسكان دائم وملائم، بعد أن تم تهجيرهم من أراضيهم الأصلية لإقامة حديقة عامة.

لا يقتصر تكتيك الرثاء على إثارة التعاطف لمرة واحدة فقط، بل يمكن تطبيقه بطريقة أكثر انتظاما واستمرارية. على سبيل المثال، نظمت أمهات لا بلازا دي مايو في الأرجنتين، **المتضررات من ديكتاتورية فيديلا، وقفات احتجاجية أسبوعية (الوقفة الاحتجاجية الفنية :تكتيك** انظر) كل يوم خميس منذ سنة ١٩٧٧. أصبحت هذه الوقفات قوة لا يستهان بها في المجتمع الأرجنتيني، وساهمت بالإطاحة بالديكتاتورية وكشف انتهاكات حقوق الإنسان.

يستخدم الرثاء في حالات العنف والظلم الجائر، خاصة عندما تكون أرواح الأبرياء على المحك. يعطي الرثاء المتضررين مساحة للحزن، ويمَّكنهم في الوقت ذاته من دعوة المجتمع إلى التحرك ضد الظلم القائم.

النظرية الأساسية

التصرفات التعبيرية والعملية

توفر التصرفات التعبيرية مساحة للمشاركين لإظهار مشاعرهم حيال قضية ما وبقائهم على اتساق مع قيمهم والتزاماتهم الشخصية. أما بالنسبة للتصرفات العملية، فتقرب الحملة من هدفها العام بجدية. تفشل العديد من الحملات اذا ما استخدمت سلسلة من التكتيكات التعبيرية فقط التي لا تحقق مكاسب ملموسة. ومن جهة أخرى، قد يفقد أحيانا المنظمون ذوي الخبرة إنسانيتهم في سعيهم لاتباع النهج الأكثر نجاعة واستراتيجية. يتمتع الرثاء بقوة فريدة، لكونه تصرف تعبيريا وعمليا ذات الوقت، فيمنح مساحة للعاطفة والتعافي، وكذلك الالتزام لإنهاء ظلم جائر ودفع الأطراف المتنفذة للتحرك.

المبادئ الأساسية

استخدام قوة الطقوس

رغم أن الطقوس لا تقوم بإنهاء المشكلة أو تقديم الحلول، لكنها عادة ما تنير لنا الطريق إلى الحل، وتعيد تأكيد التزاماتنا به. أو في هذه الحالة، تدعو طرفا آخر لتحمل المسؤولية. تتيح الشعائر المجتمعية أو الدينية مساحة للتعافي و التحريض على التصرف. الرثاء هو أحد الطقوس التي يمكن أن يمارسها مجموعة من الأشخاص معا، خاصة في السياقات التي يكون فيها الحداد العلني أمرا شائعا.

المخاطر المحتملة

الرثاء في حد ذاته لا يحقق الكثير. لا بد أن يكون مصمما لإرغام أصحاب السلطة على إحداث التغيير المرجو (مثل اتفاقية للسلام، أو وقف لإطلاق النار، أو الحد من العنف). بالتالي، يجب أن يستعد منظمو الحملات للاستمرار بجهودهم لتحقيق هدفهم العام، أي لا يجب أن نضع أملنا كله في هذا التكتيك وحده (اختيار تكتيك يناسب الاستراتيجية :مبدأ أنظر).

«ليس بالضرورة أن يكون الرثاء يأسا وعجزا، فقد يكون أداة فعالة ضد الظلم المجحف الذي يطال شريحة واسعة في مجتمع ما».

تكتيك

الاضراب عن الطعام

مصدر الصورة: idocwatch.org

لورينذا غوفيا

«الاضراب عن الطعام ... يعني أنك ترفض الأكل حتى تصل إلى باب الموت، ومن ثم يتعين على السلطات

الاختيار بين موتك أو اطلاق سراحك» -**اميلين بانكهرست**

الاضراب عن الطعام هو أداة كلاسيكية من أدوات المقاومة السلمية حيث تم استخدامه منذ القدم من قبل الناشطين حول العالم. ويعتبر تكتيكا مركزيا في صندوق أدوات التحرك المباشر وقد أخص جين شارب هذا التكتيك بالذكر دوناً عن غيره من التكتيكات في **مؤلفه ١٩٨** طريقة للعمل السلمي الذي يقسم هذه الأساليب إلى تكتيكات فرعية. وبكل الأحوال، فإن جوهر هذا التكتيك بسيط جداً وذلك أن تمتنع عن الأكل.

إن الغذاء مكون أساسي من مكونات الحياة ولذلك فإن الامتناع عنه رفضاً للظلم غالباً ما يؤدي إلى ضغط من شأنه إجبار خصم جبار على التنازل لمطالب المضربين.

بغض النظر على شجاعتنا وحسن نواياانا، اذا فشلنا في أن نرى أنفسنا كجزء من تنظيم أو حركة أكبر فسوف نقترف أخطاء سياسية فادحة.

عندما يتم استخدام تكتيك الاضراب عن الطعام بشكل استراتيجي فهو لا يقوم بتسليط الضوء على الحق المنتهك أو الظلم القائم فحسب وإنما يرفع من قدر قضيتك ويعزز مصداقية الأشخاص الذين اختاروا المخاطرة بحياتهم مما يعطي القائمين على الإضراب قوة أكبر على طاولة المفاوضات.

قبل ١٠٠ عام، قامت حركة «المطالبات بحق المرأة في الاقتراع» في المملكة المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية بالاضراب عن الطعام لفترات طويلة (غالباً وهن قابعات في السجون) كتكتيك ضاغط للفوز بحقهن في الاقتراع. واستخدمت الحكومتين الأمريكية والبريطانية الإطعام القسري للسجينات كرداً على نضالهن.

وقد استخدم غاندي الصيام كتكتيك للضغط السياسي وفي ذات الوقت كممارسة روحانية وفقاً لفلسفة ساتياغراها (satyagraha) السلمية، وقام بذلك ١٧ مرة أثناء نضال الهند من أجل الاستقلال وبعد ذلك في محاربة العنف الطائفي الناتج عن التقسيم. وقد منع الاستعمار البريطاني اتخاذ أو تداول أي صورة لغاندي أثناء أطول اضراباته والذي دام ٢١ يوما، خوفا من استجداء التعاطف.

توفي ١٠ سجناء من الجيش الجمهوري الأيرلندي (Irish Republican Army - IRA) سنة ١٩٨١ خلال اضراب مطول في سعيهم لتحسين الظروف وتحقيق الاعتراف السياسي ومن بينهم قائد الاضراب بوبي ساندز والذي كان قد انُتخب نائبا برلماني وهو في السجن. توفي ساندز بعد ٦٦ يوما من الاضراب. ساهم الإضراب تبني الحراك السياسي القومي في آيرندا نهجاً أكثر راديكالية ليصبح * شين فين* بعد ذلك حزبا رئيسياً.

وفي سنة ٢٠١١، انتشرت سلسلة من الاضرابات عن الطعام أمام المقر الاداري للحكومة الهندية والذي شارك فيه بعض مسؤولي الضرائب الذين أصبحوا ناشطين حيث أدت الإضرابات إلى **اعتماد** اجراءات هامة ضد الفساد كما ودعم وصول الحزب الجديد آنذاك والمدعو «حزب الرجل العادي» (Aam Aadmi Party) للسلطة خلال انتخابات البلدية في نيودلهي.

سنة ٢٠١٦، قام ١٧ معتقلاً سياسيا بأنغولا، بما فيهم الفنان لواتي بيراو (المعروف باسمه الفني «ايكونوكلاستا»)، بالاحتجاج على الحبس من خلال اضراب عن الطعام استمر ٣٦ يوما رمزا إلى عدد السنوات التي حكم الرئيس الديكتاتوري آنذاك، خوسيه ادواردو دوس سانتوس، فيها البلاد. أدى الضغط الدولي الداعم لهذا **الحراك** إلى الإفراج عن المعتقلين/ات، ليتم بعد عام من ذلك الاطاحة بدوس سانتوس جراء زيادة سخط الرأي العام المحلي والدولي ضده مما أجبره على التنازل عن الحكم.

في بعض الأحيان، يقوم المناضلون في الجبهات الأمامية بتنظيم اضرابات عن الطعام للاحتجاج كمشاركة ٣٠ ألف سجين في كاليفورنيا في **اضراب جماعي عن الطعام ضد الحبس الانفرادي** سنة ٢٠١٣. عادةً ما يقوم حلفاء أولئك المناضلون بتنظيم احتجاجات مماثلة كشكل من أشكال التضامن، كما انضمام الشخصيات الدينية البارزة دعماً لعمال الزراعة في فلوريدا الذين شاركوا في حملة **مقاطعة تاكو بيل**.

يكون الاضراب عن الطعام أكثر فاعلية عندما يأتي ضمن مجموعة تكتيكات مدروسة واستراتيجية، مثل الاضراب التضامني والوقفات الاحتجاجية. في بعض الأحيان، يتطلب الأمر تعبئة جماهيرية لإجبار العدو على التنازل كما حدث سنة ٢٠١٥ عندما نظمت الحركة الفلسطينية الأسيرة اضراباً جماعياً وموحد ضم ١٨٠٠ من الأسرى الفلسطينيين القابعين في مختلف سجون الاحتلال الإسرائيلي.

ولكن، قبل أن تتخذ أي قرار حول تنظيم اضراب عن الطعام، عليك الإجابة عن أسئلة بديهية مثل: هل أتصرف كفرد أم كمجموعة؟ من هي الجهة التي أحاول التأثير عليها وهل سيكون هذا التكتيك فعالا ضدها؟ وأيضا، ما هي خطتي البديلة في حال فشل الإضراب؟

يعد ترويج الاضراب على نطاق واسع من الأمور الهامة للغاية، وخاصة في تصعيد الضغط (**التصعيد الإستراتيجي :مبدأ** انظر) مع ازدياد الخطر ونمو اهتمام الإعلام والرأي العام بالقضية. ففي سنة ١٩٨١ أثناء إضرابات الطعام التي قام بها الجيش الجمهوري الأيرلندي، كان بوبي ساندز أول من بدأ الاضراب ولكن انضمام له مضربين آخرين على حدة وعبر فترات متقطعة بشكل ممنهج مما أدى إلى توليد أقصى قدر من الضغط والدعم الشعبي.

بالاضافة إلى الاعتبارات التكتيكية السابقة، لا بد علينا أن نسأل: إلى أي مدى أنا مستعد/ة للمجازفة وما هي المخاطر التي بوسعي خوضها؟ كما **قالت** السيدة بانكورست منذ أكثر من ١٠٠ عام: فقط من يشعر بظلم قاهر غير محتمل عليه اللجوء لتكتيك قاس كهذا.

«فقط الأشخاص الذين يحسون بشعور لا يحتمل من القمع» من يجب عليهم تبني مثل هذا التكتيك المتطرف.

المبادئ الأساسية

نضع هدفنا في معضلة اتخاذ قرار

بالرغم من المخاطر المرافقة للإضراب عن الطعام، فمن قدره أن يكون وسيلة عظيمة لوضع عدوك في معضلة القرار. إذا ما نجح الإضراب في كسب تأييد شعبي واسع، فمن الممكن أن تجبر/ي خصمك على اتخاذ قرار صعب للغاية: فإما يرضخ فيقبل مطالبك أو أن يكون الشرير عديم الرحمة الذي ترك شخص شجاع ونبيل يمضي في مواجهة المعاناة أو الموت.

تفعيل الآليات الدولية

يلعب الاهتمام الدولي، وكذلك الشخصيات الدينية والمهمة في المجتمع المتعاطفون مع القضية، دوراً هاماً في تكثيف الضغط على السلطات دعماً لقضيتك وإضرابك. قد تكون المنظمات الدولية كالأمم المتحدة ومنظمات حقوق الانسان كمنظمة العفو الدولية والصليب الأحمر حليفا متنفذ إذا ما لازم الأمر.

المخاطر المحتملة

يمكن أن يكون الاضراب عن الطعام تكتيكا ممتازا لتسليط الضوء على عيوب السلطة، خاصة داخل المعتقل ويمكن استخدامه كملاذ أخير بعد استخدام سلسلة من التكتيكات الضاغطة الأخرى مثل الامتناع عن مغادرة الزنزانة أو الامتناع عن ارتداء الملابس أو غيرها. وعلماً بأن الحياة في السجن تعرض المعتقلين لمخاطر صحية عديدة، فإن هذا التكتيك يعد بمثابة المخاطرة الأكبر.

إن المخاطر الجسدية التي تواجه الأسرى المضربين عن الطعام عديدة، ومنها الموت أو المرض أو التغذية القسرية، ولها عواقب صحية جسيمة كالتعرض للجفاف مما قد يسبب فشل في إحدى الأعضاء الهامة. إلى جانب ذلك، توجد مخاطر سياسية أيضاً. فبالرغم من المجازفة بحياتك، هناك احتمالية أن تفشل في تحقيق أهدافك.

لا شك بأن الإضراب عن الطعام كعمل فردي ينم عن قوة أخلاقية هائلة، ولكنه أيضاً عملاً من شأنه تحقيق الانتصارات في قضية ما. وبالتالي، فلا بد لنا من التفكير بشكل استراتيجي ونقدي قبل الإقدام على هذا العمل. فبغض النظر على شجاعتنا وحسن نوايانا، إذا فشلنا في أن نرى أنفسنا كجزء من تنظيم أو حركة أكبر فسوف نقترف أخطاء سياسية فادحة. اسأل/ي نفسك: هل يؤيد شعبي مطلبي ويشاركني الشعور بأهميته؟ هل هذا هو التكتيك الأنسب والأكثر استراتيجية لتحقيق مطلبي؟ بالتأكيد لا نريد أن نضع أنفسنا في موقف محرج اذا فشلنا في استجداء التعاطف الشعبي بعد مشهد الإضراب الدراماتيكي ومواجهة المخاطر. فلا بد من التخطيط لبناء الزخم وإلا سيتحتم علينا الاستسلام دون تحقيق أي انتصار.

مبادئ

هو توجيه تم اختباره عبر الوقت لكيفية تصميم أعمال و حملات ناجحة

التصعيد الإستراتيجي

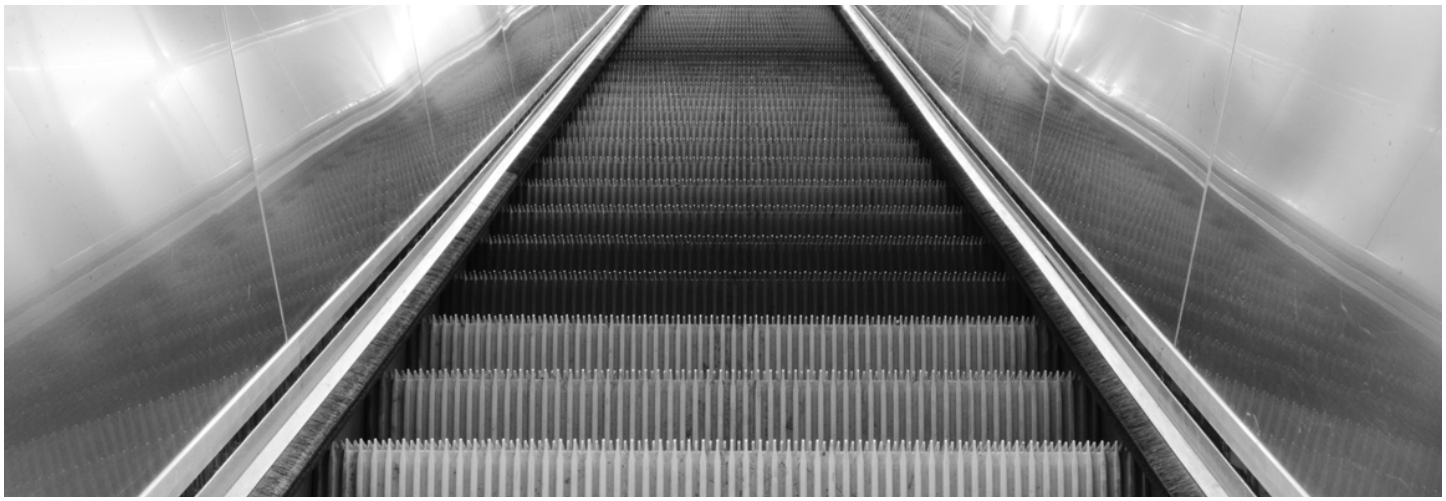

هو توجيه تم اختباره عبر الوقت لكيفية تصميم أعمال و حملات ناجحة

فيونا كيوكوسيما

يلجأ الشعب للضغط على السلطات من أجل تحقيق مطالبه عندما تتبنى السلطة سياسة تجاهل المطالب الشعبية. لتحقيق ذلك، علينا تصعيد الضغط على الجهات المستهدفة بشكل إستراتيجي وتدريجي واستخدام تكتيكات متعددة ومتنوعة (**اختيار تكتيك يناسب الاستراتيجية :مبدأ** انظر). عادة ما تلجأ السلطات إلى أساليب المماطلة أو المكر لامتصاص الغضب الشعبي. حتى لا نقع في هذا الفخ، علينا وضع خطة تصعيدية تساهم كل خطوة فيها في تصعيد وتيرة الضغط وتهيئ الطريق للخطوة التالية ، وحينها ستدرك الجهة المستهدفة أننا لن نستسلم حتى نحقق مطالبنا.

تعد حملة « فلنعد لبوشينيي عظمتها» (Make Bushenyi Great Again (MBUGA)) في غرب أوغندا مثالا رائعا لكيفية استخدام مبدأ التصعيد الإستراتيجي من أجل تحقيق مطالب الحملة المتمثلة في إنشاء لجنة خدماتية، وهي بمثابة مكتب مكلف بمعالجة قضايا العاملين في القطاع الحكومي في مقاطعة بوشينيي، مستهدفين بذلك رئيس المقاطعة المنتخب.

علينا وضع خطة تصعيدية تساهم كل خطوة فيها في تصعيد وتيرة الضغط وتهيئ الطريق للخطوة التالية.

بداية ، قدم العمال مظالمهم إلى رئيس المقاطعة على طاولة حوار حيث أكد لهم أن مطالبهم من ضمن قائمة أولوياته. وبعد مضيّ شهر من ذلك اللقاء دونما أي تغيير قامت الحملة بـ رفع دعوى قضائية ضد الحكومة المحلية وجاء رد رئيس المقاطعة بالاستهزاء من المواطنين معتبرا ذلك هدراً لجهودهم ومالهم. وفي الأشهر الخمسة التالية ، لم تشهد القضية أي تطور فعلي، بل كانت المحكمة تؤجل الجلسة في كل مرة.

أدى غضب المواطنين المحليين إلى اتخاذهم خطوة تصعيدية جديدة. بداية، قرروا تنظيم مسيرة ومظاهرة للفت انتباه الرؤوس المتنفذة في الدولة القادرة على توجيه المحكمة لدراسة القضية بشكل جدي (**نختار هدفنا بحكمة :مبدأ** انظر). وبعد ذلك بنحو شهر، قاموا بـ بتحرك مباشر* أغلق فيه المواطنون مقر المقاطعة ورفعوا لافتات تطالب بتشكيل لجنة خدماتية. هددت حملة MBUGA بـ إغلاق مقر المحكمة كخطوة مقبلة في حال عدم اتخاذ الإجراء اللازم بخصوص القضية من طرف الهيئة القضائية.أجبر تصميم الشعب، وخوف السلطات من تداعيات الفضيحة، الهيئة القضائية على استعجال البت في القضية. عقدت الجلسة في تموز (يوليو) ٢٠١٧ وصدر الحكم لصالح العمال.

تصاعدت تكتيكات حملة MBUGA خطوة فخطوة من الحوار إلى الإجراء القانوني ومن ثم الاحتجاج الشعبي واغلاق مقر المقاطعة وانتهت بالتهديد بإغلاق مقر المحكمة بالكامل. يذكر أن التصعيد لم يكن تكتيكياً فحسب، بل كان بارزاً أيضاً في تزايد عدد المنخرطين في الحملة، الشيء الذي كان أساسياً في تصميمهم لتسلسل الخطوات بحكمة ورزانة.

قد تختلف وتيرة التصعيد من حملة إلى أخرى حسب السياق. فقد حقق «تحالف عمال ايموكالي» زيادة في أجور العاملين في قطاع الزراعة في فلوريدا من خلال تصعيد إستراتيجي ضد المزارعين المالكين للأراضي الزراعية حيث بدأت الحملة ب **تنظيم على مستوى القاعدة ** العمالية ومن ثم تعطيل مؤقت للعمل وسلسلة إضرابات عن الطعام، وفي النهاية مقاطعة شعبية لشركة تجارية شهيرة تتعامل مع المزارعين الملاك.مثال آخر على هذا المبدأ هو التصعيد الذي قامت به القيادية وانغاري ماتاي مع حركة الحزام الأخضر في كينيا من خلال سلسلة من الخطوات الإستراتيجية بدءاً من زراعة الأشجار وصولا إلى تحفيز مقاومة واسعة أجبرت ديكتاتورا على التنحي من منصبه. جاء التصعيد على النحو التالي:

١. زراعة الأشجار مع النساء الريفيات.
٢. وضع لافتات ذات مضمون سياسي على الأشجار المزروعة.
٣. توجيه برقيات للمسؤولين/ات ضد خصخصة الحدائق العامة والغابات.
٤. الإضراب عن الطعام.
٥. الاعتصام المفتوح في الحدائق لمنع غلقها.
٦. **التعري للمطالبة بالإفراج عن السجناء السياسيين**.
٧. تحركات جماهيرية أدت إلى إسقاط الرئيس الكيني آنذاك دانيل آراب موي.

مهما تباينت الخطوات، يبقى المبدأ الذي لخصه شاول ألينسكي جيداً في كتابه قواعد للراديكاليين ثابتا: «استمر/ي في الضغط. لا تستسلم/ي أبداً.» إن الإبداع والمرونة هما مفتاح الحل، فكما يقول ألينسكي: «استمر/ي في محاولة إلقاء لكمات جديدة لإفقاد الخصم توازنه. بما أن التيار المعاكس يعتمد نهجا واحدا، يجب ضربه دوماً بحركات غير مسبوقة. **فالتكتيك الذي يستمر في الجر طويلا يصبح محرورا**. لا تجعل/ي نفسك مجرد خبراً قديماً.»

المبادئ الأساسية

تعريف الراديكالية بشكل استراتيجي

في بعض الأحيان، قد يكون التصعيد اللازم لتحقيق التغيير أكثر تعقيداً من الهدف المحدد الذي تسعى الحملة لإحرازه. قد يتطلب التصعيد نقلة نوعية في ثقافة العمل أو الفكر السائد على مستوى المشهد السياسي والحركات الاجتماعية التي تنتمي إليها. قد يتطلب ذلك تغيير رؤيتنا لسير الأمور، مثل الانتقال من سياسة الإصلاح إلى الثورة أو انتقال الكفاح المسلح بعد نجاحه إلى الانتخابات الشعبية. عند هذه المحطات الانتقالية، عادة ما تكون القرارات الأكثر حساسية متعلقة بالخيارات الاستراتيجية التي تنتهجها قيادة الحركة وتحديداً خيارهم في تعريف «الراديكالية» ونمذجة ذلك فيما يتناسب مع السياق.

المخاطر المحتملة

للحفاظ على تماسك فريقك، لابد من التحلي بالكثير من الصبر والتركيز على الالتزام بمسارك الاستراتيجي. كلما ابتعدت البوصلة عن وجهتك الاستراتيجية، كلما خف دعم الناس لقضيتك. لابد أن يرى المشاركون التبرير المنطقي لكل خطوة من الخطوات حتى يختاروا الانخراط في التحركات بكامل وجدانهم/ن وقناعتهم/ن وليكونوا على استعداد لتحمل المجازفات المحتملة.

وفي الوقت ذاته ، إن لم تتصاعد وتيرة العمل بسرعة كافية فمن المحتمل أن تصبح الحملة مملة وتحبط معنويات الداعمين . بالمقابل، إن تصاعدت حملتك بسرعة خاطفة أو فجائية، فقد تواجه خصوما أكثر جاهزية وقادرين على إفقاد الحملة شرعيتها أو تشويهها قبل أن تحظى بالدعم الشعبي الكافي.

«علينا وضع خطة تصعيدية تساهم كل خطوة فيها في تصعيد وتيرة الضغط وتهيئ الطريق للخطوة التالية».

لنكشف انعدام المساواة بلفتة جريئة

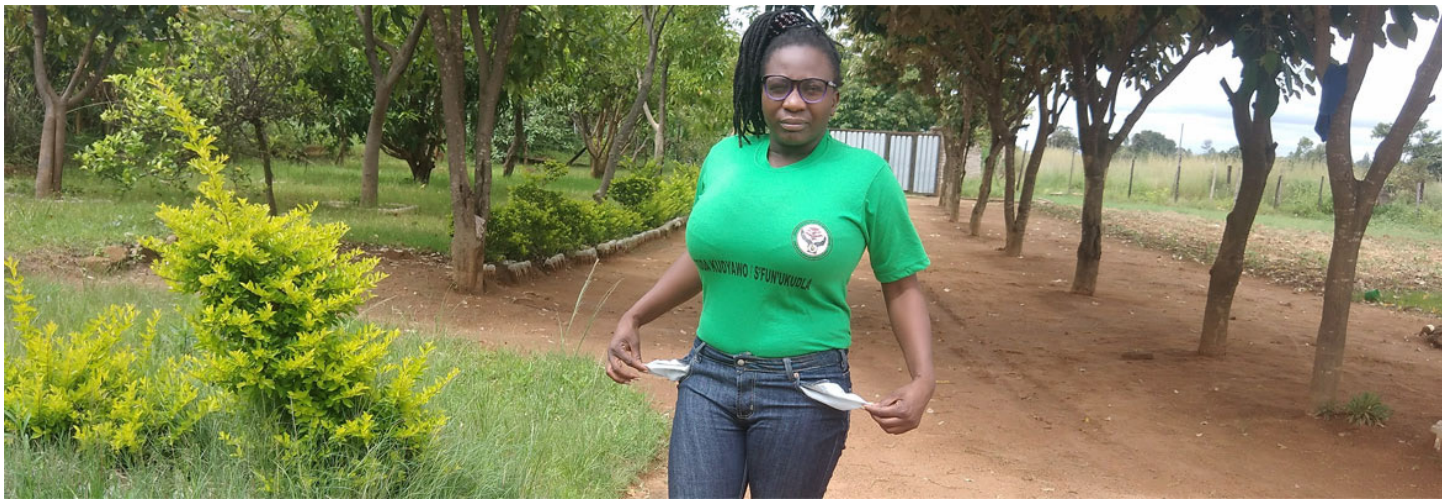

حملة "الجيوب للعيان" في زيمبابوي أظهرت ببساطة، وبتحد في الوقت نفسه، غضب الشعب من الأجور المنخفضة والتقييدات البنكية. تصوير: بيترونيلا شومبايموي..

روبسون تشيري

«ضع/ي دائما في اعتبارك أن الشعوب لا تحارب من أجل الأفكار، ولا من أجل أمور في ذهن أي شخص كان. بل تحارب لتحقيق نجاحات مادية وللعيش بشكل أفضل وفي سلام. وتحارب لرؤية حياتها تتقدم ولضمان مستقبل لأطفالها.» - أميلكار كابرال

عادة ما يبقى الفقر، والمعاناة التي ترافقه، بعيداً عن الأنظار. بالمثل، يمكن أن تبقى الثروة مخفية في حسابات مصرفية في دول أجنبية أو من خلال التلاعب بالصناديق الاستئمانية والودائع المالية. لكن، يمكننا تسليط الضوء على مثل هذه التفاوتات الاقتصادية — والتغلب على الوصمات المتعلقة بها — من خلال إيماءة بسيطة، ولكن جريئة، قادرة على إحداث تصعيد شعبي واسع سريع (على سبيل المثال، إظهار باطن الجيوب للعيان دليلاً على الإفلاس). غالباً ما تنتشر لفتة مماثلة وتنجح اذا كانت علنية ولها دلالة رمزية قوية وسهلة التكرار وملفتة للنظر (**لنجعل الخفيّ ظاهرا :مبدأ** انظر).

واجهت زيمبابوي أزمة نقدية حادة عام ٢٠١٧، حيث لم تعد تملك أغلب البنوك قدراً كافياً من المال للاستمرار في تقديم خدماتها. تم تحديد سقف السحب الأسبوعي بـ٣٠ دولار أمريكي، مما أثر بشكل خاص على سكان المناطق الريفية الذين كانوا يضطرون للسفر مسافات طويلة لسحب النقود بسبب عدم توفر فروع بنكية في مناطقهم. استياءاً من الوضع القائم، قرر أعضاء «اتحاد المعلمين الريفيين في زيمبابوي» (ARTUZ) إظهار باطن جيوبهم للعيان في طريقهم للعمل كجزء من مظاهرة احتجاجية ضخمة سُميت #الجيوبخارجا (أو #PocketsOut) (#هومويبانزي بلغة الشونا، و#ازيكواما_باندلي بلغة ايزي نديبيلي).

بسبب هذا التكتيك الإبداعي، انضم الآلاف للحملة بسهولة ودون مجازفة، بما في ذلك وزير حكومي سابق وموسيقيون وطلبة. أجبر ضغط حملة #الجيوب_خارجا رئيس البنك الاحتياطي إلى عقد اجتماع طارئ مع الاتحاد وزيادة سقف السحب إلى ٣٠٠ دولار أمريكي.

استخدم مواطنون في الأردن تكتيكات مماثلة أثناء أحداث الربيع العربي سنة ٢٠١١، وخلال الإضراب العام سنة ٢٠١٨ رفضاً لسياسات التقشف المتمثلة بتعديل قانون الضريبة، حيث رفعوا أرغفة من الخبز كتب عليها «أين أنت يا عزيزي؟» و«الفساد = فقر» لتسليط الضوء على تحول البضائع الأساسية كالخبز إلى سلع باهظة الثمن.

وفي احتجاجات ضد ارتفاع أسعار السلع الأساسية في كينيا عام ٢٠١١، نظم نشطاء «ثورة الأونغا» (الأونغا هو دقيق الذرة باللغة السواحلية) سلسلة من المظاهرات رفع المتظاهرون خلالها صحون وملاعق فارغة إشارة إلى غلاء المواد الغذائية .

تمتاز كل هذه الاحتجاجات ضد الفقر والتفاوت الاقتصادي ببساطتها وقابليتها للانتشار. قد ترتقي مثل هذه الأعمال أو الإيماءات للتمرد مضمونا رغم عدم تجاوزها لأي قانون فعلي، مما يشجع المواطنين على تقبلها والمشاركة فيها. ومن السخرية، تكمن قوة هذه التكتيكات في قدرتها على تخويف الجهات المستهدفة في بساطتها وقابليتها للانتشار. (**مبادئ بسيطة.. نتائج عظيمة :مبدأ** انظر)

وإذا أردنا أن نسلط الضوء بدهاء على عمق التناقضات المتمثلة في التباين الاقتصادي، فلا بد لنا من ربط التميز الطبقي وانعدام المساواة مع رموز القوى المستفيدة من هذا التميز، كالبنوك، أو مع رموز صنع القرار، مثل رئاسة الوزراء. (**نقاط للتدخل :منهجية** انظر). عام ٢٠١٨، قام نشطاء بلا مأوى بالتخييم في الحديقة الأمامية لمجلس البلدية في بيركلي بكاليفورنيا للمطالبة بسياسات إسكان عادلة للجميع. وشوهدت تجمعات مماثلة في عشرات المدن حول العالم من فانكوفر إلى دبلن.

المخاطر المحتملة

قد يرى البعض أن هذه الأعمال إيماءات رمزية لا تقدم بدائل واضحة، مما يجعلها تبدو كاعتراضات فارغة لا أكثر. وبالتالي، توفير مقترحات مُدّعمة بحقائق وتحليل منطقي يجعل تحركاتنا أكثر صلابة ويساهم في تحويل مطالبنا المشروعة إلى أهداف بناءة.

من المهم أيضاً أن يسعى النشطاء لجعل هذه التحركات شعبية وأن يكون بمقدور أي شخص الانخراط ضمنها . ولكن في مثل هذا الانفتاح، لا شك بأن تتعدد وتختلف دوافع الناس للانضمام مما قد يؤثر على فاعلية الحراك. قد يحدث ذلك خاصة عندما يوعز النظام لمواليه اختراق الحركة لتقويض جهودها أو الحد من زخمها.

«قد ترتقي مثل هذه الأعمال أو الإيماءات للتمرد مضمونا رغم عدم تجاوزها لأي قانون فعلي».

لنعط الصوت لمن لا يستطيع الكلام

يقوم لوراكس — الشخصية الرئيسية في كتاب الدكتور سوس للأطفال — بإعطاء صوت للأشجار في مواجهة وانسلر الذي يتسبب في تدمير البيئة.

دزموند ألوغنوا

«في حياتنا اليومية، علينا التفكير بوقع قراراتنا على الأجيال السبعة القادمة.» - كونفدرالية الإيروكواس للسكان الأصليين

من البديهي أن يكون لأولئك الأكثر تأثراً بقضية ما حق صياغة القوانين والسياسات المتعلقة بها (**لنأخذ القيادة من الأكثر تضررا :مبدأ** انظر). ولو كنا نود أن نتبع هذا المطلب الأخلاقي خير اتباع، لكانت الأشجار تدير كل حكومات العالم و! لكن جميعنا يعلم بأن هذا المطلب صعب المنال. لذا، فإن ثاني أفضل خيار متوفر هو إيجاد حلول ووسائل إبداعية لإعلاء أصواتها في مراكز صنع القرار.

بين عامي ٢٠١٧ و٢٠١٨، استخدم المدافعون عن الغابات في غانا هذا المبدأ على نطاق واسع لحماية غابة أتيوا (Atewa Forest)، والتي تعتبر واحدة من النظم البيئية الأكثر تنوعا في غرب أفريقيا. قاموا بتعليق لافتات على الأشجار المحاذية لجميع المسارات الرئيسية في الغابة، كما لو كانت الأشجار تتحدث عن نفسها قائلة: «إني أمتص ٣٠ طنا من ثاني أكسيد الكربون يوميا» و»قد لا يعرف أطفالكم أبداً أنني كنت موجودة يوما» وغيرها من العبارات. جعل النشطاء تلك الأشجار وجها رئيسيا للحملة من خلال التجسيد الرمزي (**القيادة بشخصيات متعاطفة :مبدأ** انظر).

بما أن تحقيق الربح هي الغاية الأساسية التي يقوم عليها الاقتصاد العالمي، جعلت الرأسمالية من الكائنات الحية دون البشر سلعاً للاستهلاك وكأنها كائنات بلا قيمة يمكن للبشر الاستغناء عنها. ويحصل ذلك يومياً دون أن يكون لتلك الكائنات أي أثر أو صوت في القرارات التي تؤدي إلى إبادتها. فماذا لو منحناها صوتها؟ ربما سنغير نظرتنا للعالم ونعيد النظر بمنطقنا الغريب الذي يرى بأن الإنسان مركز الكون.

ومع ذلك، فإن الحديث نيابة عن شخص أو شيء ما قد يكون تصرفاً متكبرا، ولذا فيجب علينا ممارسة هذه السلطة بمستوى عالٍ من المسؤولية وكثير من التواضع. للنجاح بتحويل هذه السلطة إلى فرصة، لا بد لنا من اللجوء إلى تعاطفنا وخيالنا الأخلاقي. أي يجب علينا أن نتخيل أنفسنا في موضع هذه الكائنات كمحاولة لتشكيل فهم عميق وأقرب للصحة حول ماهية احتياجاتها الحقيقية .

مثلاً، عندما نُعرف الاحتياجات الأساسية، قد نحصر تفكيرنا فيما نعتقد أنه أساسي لبقاء تلك الكائنات على قيد الحياة، كالماء والشمس. ولكن، علينا التفكير بعمق . . . إن الأشجار موجودة على سطح الأرض منذ حوالي مليار سنة. وقد اكتشف العلم متأخراً أن **الأشجار تتواصل مع بعضها البعض** وتتشارك الموارد المتاحة في التربة وتحذر بعضها من اقتراب الخطر. وبالتالي، علينا التفكير بكيفية تقدير كونيتهم الفريدة وذكائهم الخاص وروحهم وكل ما نتجنبه ونحن نتكلم نيابة عنهم.

لتعزيز احترام كل أشكال الحياة، واحترام كنوزنا التاريخية، يجب أن نمنح أولئك الذين لا يستطيعون الكلام لا الصوت فقط بل الحقوق أيضا. عام ٢٠٠٨، أصبحت الإكوادور أول دولة تنص على حقوق الطبيعة في دستورها، وأضحت بذلك مثالا تقدميا لدول أخرى. ففي نفس السياق، قامت نيوزلندا بمنح صفة «الشخصية القانونية» **لنهر وانغانوي**. أما في عام ٢٠١٩، قام الناخبون في مدينة توليدو بولاية أوهايو بمنح **بحيرة ايري** «حقوق غير قابلة للتصرف». اليوم، أصبحت هذه الأسطح المائية الهامة تتمتع بحقوق قانونية فعلية في المحافل البشرية.

لطالما اتخذ السكان الأصليون حول العالم الطبيعية مصدرا مقدسا للحكمة الكونية. أدركت هذه المجتمعات منذ القدم أننا لسنا سوى عنصرًا واحدًا في السيرورة المترابطة والدقيقة للحياة. وبالتالي، يجب علينا، نحن البشر العصريون، التحرر من الأنا والتعلم من جديد تبجيل غيرنا من الكائنات وجعل أصواتهم وحقوقهم حاضرة في مراكز السلطة واتخاذ القرار. إن لم نقم بذلك، فإننا لن نقضي عليهم وحدهم بل على أنفسنا أيضا.

المخاطر المحتملة

قد يكون التعجرف الخطر الأكبر عند اتخاذنا مسؤولية الحديث نيابة عن أولئك الذي لا يستطيعون الكلام. قد نقع في فخ تبسيط أمور هي في الواقع أكثر تعقيداً، أو قد نفترض أننا نملك فهما كافيا لاحتياجات الأشجار والحيوانات والأنهار والآثار وغيرها من كنوز العالم. يجب علينا التذكر بأن معرفتنا بطبيعتهم الوجودية ستكون منقوصة دوماً. ولذاء علينا التحلي بالتواضع.

«لطالما اتخذ السكان الأصليون حول العالم الطبيعية مصدرا مقدسا للحكمة الكونية».

مبدأ

التضامن لا المعونة

Photo : CIMM

دزموند ألوغنوا

«الطريق إلى جهنم معبدة بالنوايا الحسنة» - قول مأثور

تقوم الدول الغربية بسحق دول الجنوب العالمي من خلال محاولتها لتقديم العون.

يتزايد الضرر الواقع على المنظمات التقدمية والحراكات الشعبية والائتلافات المحلية والمجتمعات الناتج عن فقدانها المتزايد لاستقلالية القرار بسبب الأجندات السياسية التي تسطرها الجهات الدولية المانحة. وصفت أروندااتي روي هذه الظاهرة بأنها بمثابة **تحويل المقاومة إلى منظمات غير حكومية** حيث صرحت بأنه ينطبق على هذه المنظمات «ما يسميه علماء النبات بالأنواع الكاشفة، فكلما ازداد الدمار الناتج عن النيوليبرالية، ازداد تفشي المنظمات غير الحكومية».

صار هذا الواقع محورا جوهريا للنقاش حتى بين المنظمات غير الحكومية والوزارات المسؤولة عن إعادة إنتاج نماذج تضمن استمرارية التبعية الاقتصادية. تؤثر هذه الظاهرة بشكل خاص على الحركات في الجنوب العالمي، إذ تحتكر المنظمات غير الحكومية والمجتمع المدني ما يسمى بـ«اقتصاد التغيير الاجتماعي» المبني على ذات الأساليب الرأسمالية التي تدعي هذه الجهات بمحاربتها.

ولمواجهة هذه الظاهرة، يقوم قياديي الحركات الشعبية وبعض **المنظمات غير الحكومية** التقدمية باتخاذ خطوات مبتكرة لإعادة توازن القوى بين القواعد الشعبية والمنظمات غير الحكومية تحت شعار «التضامن لا المعونة» القائم على الأسس التالية:

مبادئ التضامن التي تصيغ القيم والممارسات الأساسية للشراكة الديمقراطية المستدامة التي تمكن القواعد الشعبية والتي يمكن من خلالها مساءلة المنظمات غير الحكومية والجهات المانحة.

التقييم الشعبي الذي يقلب كفة التمويل المجحفة في شروطها رأساً على عقب، وهي وسيلة تقوم المجموعات الشعبية من خلالها بتقييم جدوى شراكة محتملة مع منظمة ما لضمان صياغة عقد تمكيني وذي فائدة إستراتيجية للمجتمع، كما وتمكنهم من منع قيام هذه الشراكة من أساسها في حال عدم توفر الشروط التي تلائم المجتمع. فعلى سبيل المثال، تم تطوير بنية تحتية للبنوك المحلية في بعض القرى الفلسطينية بحيث تخضع المنح الدولية تحت إشراف مجالس محلية منتخبة مسؤولية عن تقنين آلية استلام واستخدام الأموال.

ومن جهة أخرى في **تندوف**، حيث يتواجد ثاني أقدم مخيم للاجئين في العالم يقطن فيه الصحراويون المنفيون بالجزائر، تم تبني نظام مماثل يضع المنح والمال الأجنبي تحت إدارة شعبية.

الشروط المرجعية للحرية حيث يتم صياغة شروط المنحة من قبل الحركات الشعبية عوضاً عن الجهات المانحة وبذلك تتمكن هذه الحراكات من استقبال الدعم الخارجي ولكن دون شروط أو قيود. مثالا، مجموعة #أنا_تعبان (#Anataban)، التي تضم فنانين سياسيين من جنوب السودان، والتي ترفض أي تمويل يشترط ترويج أسماء المانحين وشعاراتهم.

المنح المتكافئة وهو نهج خيري تتبعه عدد من المؤسسات الصغيرة والمتوسطة المانحة التي جربت أساليب متعددة من أجل تطوير آلية لتقديم المنح بشكل يحافظ على مبدأ التكافؤ.

التخطيط الإستراتيجي والذي من خلاله تضع المؤسسات الشعبية خططها التنظيمية لتفادي الانجراف في تيار الأجندات السياسية التي تضعها الجهات الأجنبية المانحة. ومن ضمن ذلك السعي للحصول على تمويل خارجي فقط إذا ما ارتبط بشكل مباشر بأهداف المؤسسة ومقاصدها المحددة عوضاً عن الدعم المالي العام.

إن هذه الاقتراحات المبتكرة ما هي إلا خمسة أمثلة بسيطة تجسد البعد العملي لمبدأ «التضامن لا المعونة» بشكل ملموس. وفي السنوات القادمة، نتأمل أن تستمر طرق الدعم المبتكرة بالتطور على يد المنظمين الشعبيين والمنظمات غير الحكومية التي تمولهم بهدف إعادة التوازن في العلاقات الناتجة عن العمل الإنساني الدولي، لتصبح هذه العلاقات أكثر تكافؤاً وكرامة.

المخاطر المحتملة

لا شك بأن تقديم الدعم من خلال التضمان عوضاً عن المساعدات الخيرية من شأنه تعزيز المبادرات الراديكالية، لكن لا بد أن نعي بأن أساليب بناء هذا التضامن سوف تختلف من مكان إلى آخر وفقاً للسياق الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والثقافي. فإن بناء بنية تحتية محلية لاقتصاد تضامني يتطلب الوقت والمهارات. لنتذكر بأنه لا يمكننا إسقاط نهج مصمم بشكل مسبق على سياق محلي، لا بد من تكييفه وتطويره مع أفراد ومؤسسات المجتمع المقصود دعمه وفقاً لمعرفتهم بالاحتياجات التي تخص مجتمعهم.

«كلما ازداد الدمار الناتج عن النيوليبرالية، ازداد تفشي المنظمات غير الحكومية».

التهديد عادة ما يكون أكثر رعبا من الفعل

«إن أقنعت اللاعبين حول الطاولة بأنك تمتلك أوراق لعب أفضل من تلك التي بحوزتهم، فسيتراجعون خوفا من الخسارة» -سول ألينسكي

من أكثر المقولات شهرة للمنظم المجتمعي سول ألينسكي: التهديد عادة ما يكون أكثر رعبا من الفعل. إذ إن خوف الخصم من التهديد عادة ما يفضي إلى تقديمه للتنازلات.

سنة ١٩٦٤، عندما كان مطار أوهير في شيكاغو يمثل تهديدا لحقوق السود وغيرهم من سكان شيكاغو المقهورين، قام ألينسكي ومنظمة وودلون بدورهم بالتهديد بـ»التغوط» داخل المطار. كان آلاف الناشطين عازمين على الوصول إلى جميع المراحيض العامة في المطار، والاصطفاف في طوابير بانتظار المستخدمين، لتعطيل دورات المياه وإجبار الركاب على تحويل المطار إلى مرحاض ضخم. لم يضطر فريق وودلون إلى القيام بهذا مطلقا، فبمجرد تسرب أخبار نواياهم، اتصل مجلس البلدية بالمنظمين للاجتماع، واستجاب لمطالبهم.

نحن نتعلم هذا المبدأ منذ الصغر. الأب يرفع يده لضرب أصابع طفلته إن أرادت لمس النار، لتصبح هذه الإشارة رمزية عند الطفلة، وترتد عما تنوي فعله بمجرد رؤيتها لهذه الاشارة. بالتالي قد يكون التهديد بالقيام بشيء أقوى من القيام به في حد ذاته.

في مدينة بوسيا بأوغندا، عانى زوار مستشفى ماسافو، الذي من المفترض أن يقدم خدمات صحية مجانية للسكان المحليين، من عدم توفر جهاز للأشعة السينية لأكثر من عشر سنوات. تعطل الجهاز السابق، ولم تقم إدارة المستشفى بإصلاحه أو بشراء جهاز جديد. انتشرت شائعات بأن المسؤولين أرادوا اختلاس الأموال بدلًا من إنفاقها على مستحقيها، فقام وفد من المواطنين نظمه فرانك كاسومبا وناشطون آخرون، في آب (أغسطس) عام ٢٠١٧، بإرسال خطاب إلى المحاسب المسؤول في المقاطعة، وحددوا مهلة مدتها شهر واحد لشراء جهاز جديد. بخلاف ذلك كان السكان سيغزون مكاتبهم ويشغلونها باعتصام مفتوح إلى أجل غير مسمى. في غضون أسبوع، تبرع عضو البرلمان نابولينو جان كووبا بنحو ٥٠٠٠ دولار أمريكي، وقدمت المقاطعة مبلغا إضافيا بلغ نحو ٣٠٠٠ دولار أمريكي لإصلاح الجهاز.

في مثال آخر، وردا على تواطؤ القطاع الخاص مع الجرائم الصهيونية، أعلنت حركة المقاطعة وسحب الاستثمارات وفرض العقوبات (BDS) في مصر عام ٢٠١٥ عن مقاطعة شركة «موبينيل»، التي كانت آنذاك الفرع المحلي لعملاق الاتصالات «أورانج»، والتي كانت تخدم ٣٠ مليون مشترك مصري. وقبل انطلاق الحملة، سافر الرئيس التنفيذي لشركة أورانج من باريس إلى القاهرة وتعهد بانسحاب أورانج من السوق الإسرائيلي.

استخدمت منظمات مثل «شبكة عمل الغابات المطيرة» (Rainforest Action Network - RAN) إستراتيجيات مماثلة. أثناء حملتها التي هدفت إلى إيقاف شركات منتجات الغابات في أمريكا الشمالية عن جلب الأخشاب من الغابات المعمرة، وبدلا من استهداف كل شركة على حدة، قامت الشبكة باستهداف أكبر لاعب في السوق هوم ديبوت (Home Depot). وبمجرد انتصارها في المعركة الكبيرة، استطاعت تهديد العديد من الشركات الكبرى الأخرى بإجراءات مماثلة، فامتثلت جميعها بسرعة دون الحاجة إلى مواجهتها.

تنفيذ مبدأ ألينسكي ليس لضعاف القلوب. يجب على الأشخاص والمجموعات التي تصدر التهديدات أن تكون مستعدة وقادرة على تنفيذها إذا ما تطلب الأمر. وكما قال جاك لندن: «إن الحياة ليست امتلاك أوراق رابحة طوال الوقت، بل إجادة اللعب بأوراق خاسرة».

المخاطر المحتملة

يتشتت انتباه البشر بسهولة. إن أصدرت تحذيرا حول تنظيم عمل ما يضم أشخاص آخرين، كثير منهم سيشعر بالملل أو الإحباط أو الخوف، وسينسحبون بمرور الوقت. إن حدث هذا السيناريو، فمن المحتمل أن تفقد حملتك مصداقيتها. تتطور الحملات بتطور المجريات السياسية طوال الوقت. إعطاء مهلة طويلة لخصمك قد يسمح له بوضع خطط لم تأخذها في الحسبان، وبالتالي سيضع فريقك في موقف دفاعي.

«خوف الخصم من التهديدات عادة ما يفضي إلى تقديمه للتنازلات».

الاستراتيجيات التنظيمية القابلة للانتشار

إحدى قياديات "الرابطة الوطنية للدفاع عن الأرض" في أوغندا تخاطب حشود من النساء اللواتي تجمعن احتجاجاً على سياسة مصادرة الأراضي.

تستمد الحركات الشعبية قوتها من قدرتها على احتواء عدد كبير من المشاركين القياديين. عوضاً عن الاعتماد على القيادة الهرمية التي تتبعها الجهات الرسمية والحكومات، يمكن لقيادي الحركات الشعبية تجاوز هذه المحددات من خلال توظيف استراتيجيات تنظيمية قابلة للانتشار بحيث يتمكن الناس من المشاركة في تكتيكاتها أينما كانوا. وبهذا الشكل، تتكاثر عضوية الحركة باستخدام منطق «الضرب» (كما في الرياضيات) بدلاً عن «الجمع». هكذا انتشرت حركة «احتلوا وال ستريت» (Occupy Wall Street) عالمياً في أعقاب ثورات الربيع العربي، اذ أن الشعوب في الغرب كانت قد سئمت من هيمنة رأس المال على مراكز صنع القرار وتمكنوا من ترجمة هذا الغضب العالمي ميدانياً في أماكن تواجدهم.

إن الحركات الشعبية بطبيعتها مفتوحة للتعدد، فتسمح للناس أينما كانوا بالالتفاف حولها من خلال تشكيل خلايا تنظيمية قادرة على التصرف المباشر دون إذن أو ايعاز من جسم مركزي حيث تعتمد آلية التعبئة فيها على ما يمكن وصفه بالتجنيد الذاتي. ويكون الحجر الأساس للحفاظ على الوحدة والانضباط داخل صفوف الحركة هو المبادئ العملية والأخلاقية التي تشكلها القاعدة الشعبية وليس قرارات تنظيمية تصدر من أعلى الهرم إلى أسفله. هكذا تصبح هذه المبادئ بمثابة «الحمض النووي» للحركة.

شهدت الرابطة الوطنية للدفاع عن الأرض (The National Land Defense League - NLDL) في أوغندا نمواً سريعا في الحجم والقوة بمجرد التخلي عن استراتيجية الاجتماعات المركزية وتبني استراتيجية إنشاء الخلايا اللامركزية. في بادئ الأمر، تشكلت هذه النوى من خلال الموائد الجماعية. فهي فكرة بسيطة ومتاحة لأفقر المزارعين في جميع أرجاء أوغندا... باستخدام خبز الدخن كرمز وطني للرابطة، كان بإمكان أي مزارع دعوة جيرانه المزارعين لتناول العشاء معاً ومناقشة استراتيجيات عمل جماعية لمقاومة سياسة الخصخصة والاستيلاء على الأراضي المحلية.

لا تقتصر فاعلية هذه الاستراتيجية التوسعية على نمو الحركة فحسب، وإنما بقدرتها على تثبيت الحركة وتعزيز صمود أعضائها. فعلى سبيل المثال، عندما أقام ٢٠٠ مزارعا أوغنديا اعتصاماً مفتوحاً داخل مكتب للأمم المتحدة احتجاجا على عمليات الدولة العسكرية للإخلاء الأراضي، قامت خلايا الرابطة
(التي كان قد شكلها المزارعين حول أوغندا من خلال التجنيد الذاتي) بجمع تبرعات من منتوجاتهم المحلية وإرسالها إلى المزارعين المعتصمين.

أما في الدانمارك، إثر سياسات التقشف التي فرضتها الدولة سنة ٢٠١٦ والتي صعبت حصول الناس على المزايا والإعانات الحكومية، قام النشطاء ذوي الاحتياجات الخاصة وحلفائهم بتشكيل فرق دعم في عدة مدن دنماركية تحت شعار «الدعم قادم» (**Næstehjælperne**). تشكلت مجموعات عبر اللقاءات الشخصية والفايسبوك بين أولئك الذين باتوا يشعرون بالوحدة والإقصاء في سعيهم لتأمين الإعلانات. كان نهج الانتساب الذاتي من قبل الأشخاص ذوي الاحتياجات الخاصة أساس انتشار هذه الشبكات والتي بدورها بدأت بمرافقة الأفراد إلى مقابلتهم مع المؤسسات الحكومية المعنية بقرارات الإعانة كنوع من تعزيز صمود المتضررين من سياسات التقشف وأيضاً كوسيلة لبناء التحالفات مع الأخصائيين الاجتماعيين مما ساهم في ارتفاع عدد الموافقات على طلبات الإعانة.

وفي الولايات المتحدة الأمريكية، اتبع قيادي حركة «شروق» **Sunrise** نموذج التنظيم اللامركزي المطور من قبل مؤسسة «**زخم**» (**Momentum**) في سعيهم لإنشاء نموذج تنظيمي جديد خاص بالقضايا البيئية تحت مسمى «الإعصار التنظيمي» «**whirlwind movement**» دعماً للصفقة الجديدة الخضراء (Green New Deal). كيف تقوم شروق بتجنيد أعضائها؟ ببساطة، لدى أي ثلاثة أشخاص في أي ولاية كانت حق العضوية اذا ما اجتمعوا وهتفوا سوياً إعلان المبادئ الخاص بالحركة :-)

تتبع شروق نظرية «دورة الزخم» **Cycle of Momentum** والتي تحتوي على ثلاثة مراحل لبناء الحركة. تبدأ ب التصعيد، ثم تفعيل الدعم الشعبي وبعدها احتضان هذا الدعم الجديد لإنماء الحركة. في المرحلة الثالثة المتمثلة في الاحتضان، يعتبر التجنيد الذاتي واللامركزية المفتاحان الأساسيان للنجاح وفقاً
المنطق التالي:

لكي تتمكن الحركة من الانتشار، لابد من تبني هيكيلة لامركزية قادرة على استيعاب أعضاء جدد لاسيما في اللحظات الحاسمة من الاستنفار الشعبي. ولكي نتمكن من الحفاظ على تنظيم لامركزي مع تفادي الفوضى العارمة، فلابد لنا من تحصين القصة العامة للحركة واستراتيجيتها وبنيتها.

بالخلاصة، تنجح الاستراتيجيات التنظيمية القابلة للانتشار اذا ما كانت لامركزية على المستويين الجغرافي والديموغرافي وفي ذات الوقت اذا ما استطاعت استيعاب التنظيمات المحلية بشكل يسمح لنمو قاعدة شعبية قادرة على حياكة حمض نووي مشترك للحركة من خلال القصة والاستراتيجية والبنية حفاظاً على الوحدة والانضباط.

إن توظيف الاستراتيجيات التنظيمية القابلة للانتشار يمكن الناس من التجنيد الذاتي كما يمكنهم أيضاً من بناء ثقافة تكاثف وتضامن حقيقية داخل صفوف الحركة.

المخاطر المحتملة

قد تضطر بعض الحركات الشعبية أن تكون أقل انفتاحاً من غيرها إزاء التجنيد الذاتي والقيادة الطوعية لاسيما اذا ما كانت الدولة تنتهج سياسات القمع والترهيب. قد تكون العواقب وخيمة للمعارضة اذا ما نجحت الدولة في اختراق الحركة والتجسس على أعضائها. في مثل هذه الحالات، لابد على المنظمين من توخي الحذر واتخاذ قرارات استراتيجية لتحديد مدى اللامركزية الملائم للسياق المحلي. أحياناً، قد يكون القرار الأسلم البدء بتنظيم سري أو ضيق النطاق قبل الانتشار والتوسع.

وفي بعض الأحيان، قد يشكل الانفتاح التام خطراً على تماسك خطاب ومبادئ الحركة مؤدياً بذلك إلى انحرافها عن وجهتها الرئيسية أو انتشار الفوضى في صفوفها لاسيما قبل أن ينشأ «حمض نووي» متين من شأنه حماية الحركة والحفاظ على وحدتها وانضباط أعضائها.

«تعتمد الحركات الشعبية على آلية تعبئة يمكن وصفها بالتجنيد الذاتي».

النظريات

هي أفكار شاملة تساعدنا على فهم آلية عمل العالم و كيف قد نغيّرها.

الجيرونتقراطية (حكم المسنين)

صورة لرئيس أوغندا، يوري موسيفيني، الذي عدل الدستور مؤخرا للسماح لنفسه بالاستمرار في الحكم بعد سن الـ75، وهو يأخذ صورة «سيلفي» خلال مؤتمر للشباب مع مجموعة من الأشخاص الذين يبدو جميعاً فوق سن الـ35، وهو السن الذي يمثل الحد الأعلى لفئة الشباب لدى الاتحاد الأفريقي

«على المسنين الحكم وعلى الشباب الطاعة» - أفلاطون

الأصول:

الإغريق (أسبرطة) والامبراطورية الرومانية والصين وأفريقيا، الخ...

تعرف الجيرونتقراطية بسيطرة كبار السن على الحكم دوناً عن الشباب. قد تكون الخبرة وفي بعض الأحيان الحكمة التي ترافق الكبر رافعة للقيادة السليمة، ولكن تغلغل حكم المسنين في المجتمع قد يؤدي إلى القمع والتطرف وانفصال القادة عن الواقع مما يشكل نقيضاً للقيادة الأخلاقية والتشاركية.

لم تنشأ الجيرونتقراطية في مكان واحد. فمنذ قديم الزمان، حكم أسبرطة مجلسا يدعى «جيروسيا» يتكون من مجموعة من الرجال فوق الستين الذين كانوا يخدمون في المجلس مدى الحياة. وفي مثال آخر، قامت الشيوعية بتنظيم الدول الشرقية التابعة لها وفقاً لنهج مشابه. كما نجد هذه الممارسة لدى العديد من القبائل في مختلف أنحاء العالم، منها قبائل سامبورو في كينيا ومجموعات أخرى في مناطق اليوروبا غربي أفريقيا التي تتمركز فيها السلطة بيد فئة الشيوخ من الرجال.

يرجع أصل كلمة Senate (وهو مجلس الشيوخ باللغة الانجليزية) إلى الكلمة اللاتينية senex والتي تعني «رجل متقدم في السن». تمثل الأجيال الأكبر عمراً عددا غير متناسب من عضوية مجلس الشيوخ الأمريكي. فعلى سبيل المثال، شغل السناتور ستروم ثورموند من ولاية كارولاينا الجنوبية، والذي يلقب بالسيد، منصبه لمدة تقارب نصف قرن وظل عضواً في المجلس حتى بلغ ١٠٠ عام من العمر.

ونرى اليوم في أفريقيا العديد من الطغاة الذين تجاوزوا سن السبعين وهم متشبثون بمقاعدهم منذ عقود ومن الأمثلة الشهيرة الرئيس الأسبق لزيمبابوي روبرت موغابي الذي أجبر على الاستقالة من منصبه في سن الـ٩٣ بعد ٣٧ عام من الحكم.

وفي العديد من الدول الأفريقية، تعمل الجيرونتقراطية المنتشرة في المجتمعات المحلية على تعزيز السلطة المركزية للأنظمة الحاكمة. فعادة ما ينجح النظام بسهولة في رشوة زعماء القبائل والعشائر والتلاعب بهم أو ممارسة الضغط عليهم للحفاظ على البنية السياسية للدولة. وحتى داخل منظمات المجتمع المدني، والتي يتفرض أن تشكل تياراً مضادا للأنظمة الجيرونتقراطية، فغالبا ما تكون القرارات الكبرى ولاسيما المتعلقة بالمتبرعين والممولين بيد رجل مسن.

إن الجيرونتقراطية متأصلة أيضا على المستوى الثقافي وليس فقط في الأنظمة السياسية، حيث أصبحت نغمة «طاعة الشيوخ» بمثابة عرف عالمي. وبالرغم من ذلك، لا بد أن تكون استراتيجياتنا التي نطمح إلى تحقيق التغيير من خلالها قادرة على تمكين الشباب لاسترجاع السلطة والوقوف في وجه المسؤولين التنفيذيين والسياسيين القدامى الذين يعيقون مجرى الإصلاح.

وقد كان الحال كذلك في بوركينا فاسو خلال الانتفاضة الشبابية سنة ٢٠١٤، عندما ثار الشباب البوركينابي على البرلمان محدثين تغييرا في النظام وآخذين إلى الشوارع في اليوم التالي لتنظيف آثار الفوضى واعادة بناء مجتمعهم.

تشير أحدث الإحصائيات إلى أن متوسط أعمار سكان ١٣ دولة أفريقية قد بلغ أقل من ١٨ سنة، مما يعني أن أغلبية السكان لا يتمتعون بحق التصويت. وتؤوي النيجر أصغر سكان العالم، حيث يبلغ متوسط العمر فيها ١٤,٨ سنة فنرى رئيس النيجر محمد ايسوفو — وهو من مواليد سنة ١٩٥١ — يصدر قرارات بحق أجيال لا يستطيع أن يفهم منطقها أصلا.

فلربما يكون تخفيض سن التصويت إلى عمر السادسة عشر خطوة تقدمية نحو تسليم الحكم والسلطة للشباب.

من الضروري أن تهتم الحركات الشعبية أيضاً بالتركيبة العمرية لمجتمعاتهم. فهل تفوض هذه الحركات الشباب باتخاذ القرارات؟ وهل يستمثر القادة الأكثر خبرة وقتهم في تمكين القياديين اليافعين؟ فيمكن لمثل هذه الاعتبارات المساهمة في تعزيز بنية وقوة الحركة.

في معظم دول العالم، وليس في أفريقيا وحسب، يفشل الزعماء المسنين والمتشبثين بعروشهم ومناصبهم في اتخاذ قرارات تحمي الأجيال القادمة لاسيما من الأخطار الكارثية المصاحبة للتغير المناخي. إن مستقبلنا في خطر. وجيل الشباب هم من سيضطرون للعيش في هذه الظروف الصعبة مما يعني أن اليافعين أكثر اهتماماً في حل المشاكل البيئية الآنية التي قد لا يرى المسنين من القادة مانعاً في تأجيلها (لنأخذ القيادة من الأكثر تضررا :مبدأ انظر).

«قد يؤدي تغلغل حكم المسنين في المجتمع إلى الإقصاء والتطرف وانفصال القادة عن الواقع مما يشكل نقيضاً للقيادة الأخلاقية والتشاركية».

الدولة العميقة

اسقاط الامبراطورية كلها، ليس القائد وحسب

«منذ فجر البشرية، اتخذت حفنة من الطغاة المسؤولية عن حياتنا، ولكن كان من الأجدر لنا أن نقبل أداء هذه المسؤولية بأنفسنا» - ثاء رمزا للثأر (V for Vendetta)

الأصول:

ولدت فكرة «الانقلاب» (coup d'Etat)، والذي يعني حرفيا «جلطة الدولة» بالفرنسية، في فرنسا خلال أربعينيات القرن السابع عشر. ومن ثم اشتهرت في أواخر القرن الثامن عشر مع انقلاب ١٨ برومير الذي جاء بنابليون بونابرت قنصلا أولا لفرنسا، منهيا بذلك الثورة الفرنسية. يشير مصطلح «الانقلاب الزائف» إلى شكل شائع من أشكال الاستيلاء على السلطة في القرن الـ٢١، إذ تلجأ الأنظمة التي تواجه ضغوط الانتفاضات الشعبية إلى المناورة من خلال التضحية برأس السلطة وتنصيب آخر من داخل دائرة النخبة الحاكمة.

أصبحت الديكتاتوريات خبيثة، فعندما تجد نفسها على وشك الانهيار تسلم السلطة لأحد المقربين بدل التنازل عنها امتثالا للإرادة الشعبية. وبالتالي، يجب على التحركات الشعبية ضد الاستبداد أن تكون واعية لمناورة «الدولة العميقة» (أو «الانقلاب الزائف»)، وأن تتعلم الحفاظ على استدامة المقاومة حتى بعد تغير الوجوه على رأس هرم السلطة.

حدثت **٤٥٧ محاولة انقلاب حول العالم** بين عامي ١٩٥٠ و٢٠١٠، تكلل نصفها بالنجاح. وهذا يعادل بالمتوسط ١,١٦ انقلابا لكل بلد خلال ثلاثة أجيال فقط. شئنا أم أبينا، باتت ظاهرة الاستيلاء على السلطة جزءا من المشهد السياسي العالمي، خاصة في أفريقيا التي شهدت انقلابات أكثر من أي قارة أخرى.

أصبحت القبضة الحديدية صيحة قديمة لديكتاتوريات القرن الـ٢١. زاد مكر الأقليات الحاكمة في تدبير الانقلابات، فهي تتبادل الأدوار القيادية فيما بينها. وبهذا تحافظ على السلطة من جهة، وتنسب الفضل في التغيير إلى نفسها من جهة أخرى.

يعي المستبدون جيدا أن إرساء ديمقراطية ظاهرية أمر مربح للغاية، فالجهات المانحة مغرمة بتمويل الانتخابات. ينظم الطغاة انتخابات محسومة النتائج لتلميع صورهم وبهذا لا يحتفظون بالسلطة فحسب، بل ويحصلون على المال والدعم من الدول «الديمقراطية» الراعية لهم. هكذا تخلق المساعدات الأجنبية «اقتصادات الانقلاب» في هذا النوع من الديمقراطيات الزائفة.

في السنوات الأخيرة، أصبحت الانقلابات الزائفة آلية معتمدة للانتقال شبه-الديمقراطي في أفريقيا. على سبيل المثال، قام جوزيف كابيلا، ديكتاتور جمهورية الكونغو الديمقراطية لمدة ١٨ سنة، بترتيب صفقة سرية لوضع فيليكس تشيسيكيدي خليفة له، رغم الدعم الشعبي لمارتن فايولو سنة ٢٠١٨. وفي مثال آخر، ومع تراجع شعبية الرئيس روبرت موغابي البالغ من العمر ٩٥ سنة، قام تيار في الحزب الحاكم باختطاف السلطة وتنصيب ايمرسون منانغاوا بدلا من تنظيم انتقال ديمقراطي.

أتقنت تنزانيا أيضا هذا الفن من التغيير الوهمي، حيث أشرف الحزب القومي الأفريقي الاشتراكي «شاما شا مابيندوزي» (Chama Cha Mapinduzi)، ثاني أقدم حزب حاكم في أفريقيا، على بعض التغيير للقيادة بينما كان يتجه نحو مزيد من النيوليبرالية والاستبداد.

تستمر النخبة أحيانا في توجيه أذرعها داخل الدولة العميقة حتى بعد سقوطها. فتفتعل تهديدات أمنية لتدعي أن التغيير لم يكن خيارا جيدا، وأن عليها الاحتفاظ بالسلطة إلى حين استقرار الأمور.

لقد أظهرت سنة ٢٠١٩ أن الحركات الشعبية تعلمت هذا الدرس. ففي الجزائر، لا يزال المواطنون الذين أطاحوا بالديكتاتور عبد العزيز بوتفليقة، والذي بقي في الحكم لأربع فترات رئاسية، في الشوارع ليومنا هذا، مطالبين بعملية انتخابية شرعية. أما في السودان، تشارك الحركة الاجتماعية التي أجبرت الجيش على الإطاحة بالديكتاتور عمر البشير في معركة شرسة، من خلال الاعتصامات والإضرابات العامة، والمسيرات الجماهيرية، لتشكيل حكومة مدنية انتقالية، رغم محاولة الجيش بسط نفوذه بالقوة.

نحن نعيش لحظة حاسمة في تاريخ النضال. علينا تصويب مسار التاريخ بالابتعاد عن القبول الساذج بالتغييرات الصورية، وتبني الكفاح المستدام لبناء المجتمعات التي نريد.

«يجب على الحركات الديمقراطية التي تطمح إلى تغيير جوهري أن تحذر هذا النوع من المناورات، فلتحقيق انتقال ديمقراطي حقيقي لابد لها من مواصلة النضال حتى بعد حدوث التغيير الصوري على رأس الهرم».

الوحدة الأفريقية الجديدة (نيو بان أفريكانيزم)

«لدينا تاريخ جميل، ولكننا سنخلق تاريخا سيذهل العالم.» - ماركوس غارفي

الأصول:

ظهرت نظرية وحدة أفريقية أو القومية الأفريقية (بان أفريكانيزم) — باعتبارها إطاراً تحررياً متجذراً في كفاح الشعوب الأفريقية ضد الاستعباد والاستعمار في عموم القارة — كنظرية سياسية في بداية القرن العشرين مع تأسيس الرابطة الأفريقية والتي أصبحت تسمى فيما بعد رابطة الوحدة الأفريقية (Pan-African Association). لعب مفهوم الوحدة الأفريقية دوراً بارزاً في سياسات البرلمان الأفريقي خلال النصف الأول من القرن العشرين مؤدياً إلى تشكيل منظمة الوحدة الأفريقية سنة ١٩٦٣ (والمعروفة اليوم باسم الاتحاد الأفريقي). كما ساهم هذا المد الفكري في توجيه حركات المقاومة والتحرر ضد الاضطهاد الاستعماري وما بعد الاستعماري خلال فترة الستينات والسبعينات. تتكئ نظرية الوحدة الأفريقية الجديدة (نيو البان أفريكانيزم) على أفكار ومثاليات الوحدة الأفريقية. فتجدد مفاهيمها وفقاً للمعطيات والتحديات التي تواجه أفريقيا اليوم ضمن السياق الرأسمالي والاستعماري الحديث الذي نعيشه في القرن الواحد والعشرين، آخذة بعين الاعتبار الأسلحة المعاصرة وسبل المقاومة الجديدة.

إن وحدة أفريقية أو القومية الأفريقية (ما يسمى بالإنجليزية بـ بان أفريكانيزم) هو معتقد يؤكد في جوهره بأن الأفارقة المقيمين في القارة وفي الشتات، لا يتقاسمون تاريخا مشتركا فقط، بل مصيرا مشتركا أيضا. ظهر المصطلح وتطور في زمن مليء بالأزمات والمآسي، وبالتالي فهو يقوم على مبدأ الوحدة بين الأفارقة كشرط أساسي للازدهار الاقتصادي والمجتمعي والثقافي والسياسي.

لعبت مبادئ القومية الأفريقية دوراً أساسياً في توجيه النضال الأفريقي ضد الاضطهاد في فترة الاستعمار وما بعد الاستعمار على مدى مجمل القرن العشرين. أما الوحدة الأفريقية الجديدة (نيو بان أفريكانيزم)، فأتت استكمالاً لهذا التاريخ النضالي، وأعادت إحياء الالتزام بمبادئ الحرية والعدالة والكرامة بخطاب ونهج حديث يتماشى مع التحديات المعاصرة التي تفرضها الرأسمالية في أفريقيا اليوم.

تعبر الوحدة الأفريقية الجديدة عن طموح الجماهير الأفريقية — وبالأخص فئة الشباب الذين يشكلون غالبية سكان القارة — نحو التعبئة وتبادل الأفكار وتنظيم أنفسهم في تكتلات مناهضة للاستعمار والرأسمالية والامبريالية العالمية و وداعمة للنسوية سعياً لتحفيز الانتماء وإعادة الاكتشاف الثقافي؛ الادماج والمساواة؛ الوعي الجماعي والتشاركية في صنع القرار؛ وايجاد حلول لأبرز المشاكل التي تواجه مواطنو أفريقيا وأولئك ذوو الأصول الأفريقية أينما كانوا. وتطرح هذه النظرية بدائل للنظم السائدة من خلال المبادئ التوجيهية التالية:

١. **الوحدة والتضامن** قامت الدول الأفريقية كتنزانيا بـ استضافة حركات التحرر من جميع ربوع القارة في شفق الاستعمار وسخرت الموارد لدعم تلك النضالات. وما تزال الوحدة السياسية لأفريقيا شرطا مسبقا لمواجهة الاستغلال الاقتصادي والمعاملة المجحفة من طرف القوى العالمية، الشيء الذي أكده كوامي نكروما قبل أكثر من خمسين عام. في السياق الحالي، قامت المنظمات والحركات المجتمعية مثل «أفريكانز رايزينغ» (Africans Rising) بتطبيق هذا المبدأ من خلال تنظيم جهود تضامنية لدعم الحراكات الشعبية كما هو الحال في **التوغو** ومؤخرا في السودان. إن تحقيق هذا الشرط المسبق يظل أمراً جوهرياً لصد الامبرياليات — التقليدية والحديثة — واعادة احياء قوة أفريقيا السياسية والاقتصادية.

٢. **الحرية السياسية**. يرتكز المصير الجماعي للقارة على صياغة أفريقية لمفاهيم الكرامة الانسانية والعدالة الاجتماعية والقيادة التشاركية التي تتضمن ممارسات مثل تاجماعت بين أمازيغ شمال أفريقيا وبارازا بين مختلف الأعراق في شرق أفريقيا، وكذلك أميزو بين قبائل الزولو في أفريقيا الجنوبية. تقدم الثورات الأخيرة في تونس وبوركينا فاسو والجزائر والسودان أمثلة مفتاحية لدور الحركات الشعبية في رفض الاستقلال الزائف المتمثل بـ «النشيد والعلم» ومجابهة الديكتاتوريات وتعزيز الديمقراطية.

٣. **الحرية الاقتصادية**. تأسست بعض المجتمعات التقليدية في أفريقيا على قيم المساواة خلافا لما صار عليه حالنا اليوم اذ تجد الجماهير نفسها مستبعدة من المشاركة الفعالة في القرارات الاقتصادية من قبل الانظمة الجيرونتوقراطية ورأس المال العالمي ووكلائه المحليين الذين ينهبون أفريقيا وشعبها عبر الصفقات التجارية غير المتوازنة وسياسية التنازل عن الأراضي والثروات المعدنية وكذلك تسهيل التدفقات المالية المشبوهة (الرأسمالية :نظرية انظر). ووفقاً لنظرية الوحدة الأفريقية الجديدة، لابد من تصفية العملات الامبريالية مثل الفرنك الأفريقي كخطوة أساسية نحو توحيد الاقتصادات الوطنية المجزأة وإنشاء عملة أفريقية مشتركة. كما تؤيد النظرية نظام اقتصادي صديق للشعوب يستندعلى فكرة التعاونيات والاقتصاد التضامني وغيرها من نماذج الاقتصاد التشاركي وأنماط الانتاج والتجارة التي تخدم مصلحة الشعوب.

٤. **تقويم الهوية والثقافة**. جاء الاستعمار والعولمة بموجات من الهيمنة الثقافية مما أثر على نظرة الأفارقة إلى ثقافتهم وأساليب ممارستها. ولتغيير ذلك، علينا تصويب نظرتنا للعالم وللروايات التقليدية التي تتناول مفاهيم الهوية والثقافة الأفريقية ووضع رؤى جديدة تسلط الضوء على فضائل الهوية الأفريقية.

على سبيل المثال، تعد **اوبنتو** نمط حياة تقليدي يعتمد على العيش المشترك. اذاً، تقوّم نظرية الوحدة الأفريقية الجديدة إلى تسخير وتوظيف القيم والتقاليد والممارسات التقليدية عبر القارة وفي الشتات تحت مظلة متعددة الثقافات من خلال سرد القصص والفنون الأدائية والاوبنتو وممارسات أفريقية أخرى (**استرجاع الأصالة المحلية: مبدأ** انظر).

٥. نسوية الجنوب. يجب أن يقوم التعايش بين الرجال والنساء على أسس الكرامة والإنصاف والاحترام المتبادل. تقدم النظريات النسوية الراديكالية التي ظهرت في الجنوب العالمي (نسوية الجنوب) نقدا ممنهجاً للقيود البنيوية التي يفرضها القانون والدين والثقافة على النساء الأفريقيات والتوقعات المنتظرة منهن وفقاً لهذه المحددات. وقد كانت مقاومة هذه القيود مكونا أساسيا في الحراكات الشعبية والحملات السياسية الحديثة، من الهبة الطلابية «#فلتسقط_الرسوم» في جنوب أفريقيا إلى الحراك المناهض لمصادرة الأراضي في أوغندا (تعرية السلطة في أوغندا :قصة انظر). ويبقى مفهوم التقاطعية في الحركة النسوية عنصرا أساسيا ليس فقط فيما يتعلق بالقضايا الجندرية وإنما أيضاً لتحقيق العدالة والكرامة والمساواة وتعزيز المطالبات المتعلقة بالأراضي والمياه والبيئة وإعادة تأطير الخطاب السائد. فلا وجود للوحدة الأفريقية الجديدة دون النسوية.

٦. **السيادة البيئية**. تقوم وحشية الرأسمالية بتخريب أفريقيا من خلال الاستيلاء على الأراضي واستخراج الموارد الثمينة وتدمير الأرض والماء والهواء. من تجارة المحاصيل إلى التعدين، يمثل استغلال القطاع الخاص للأراضي والموارد شكلا من أشكال الاستعمار غير المباشر. تسعى الوحدة الأفريقية الجديدة لمحاربة الدمار البيئي الذي تخلفه الأشكال الجديدة للاستعمار من خلال تسييس مفاهيم عادية كالمشاعات وسيادة البذور والأمن الغذائي والممارسات الزراعية التقليدية القادرة على إصلاح الأراضي المتضررة وحماية ما تبقى منها. كما وتسعى أيضا إلى تعزيز أنماط الحياة التي يتبعها السكان الأصليين والتي لطالما كانت تتسق مع المتطلبات البيئية وتدرك الكوارث البيئية المقبلة. لا بد علينا أن نصون القارة الأفريقية ونحافظ على استمرارية الحياة فيها للأجيال العديدة القادمة ولن نحقق ذلك إلا من خلال الادارة البيئية الحكيمة.

٧. **النسيان والتفكيك وإعادة البناء**. (القضاء على الاستعمار :نظرية انظر). لتحقيق تطلعات الوحدة الأفريقية الجديدة علينا نسيان وتفكيك ما ورثناه من نظم بالية وفي نفس الوقت ابتكار وتطبيق نظم بديلة يكون محورها الشعوب. وفي مسيرة إعادة البناء هذه، علينا انتهاج العمل المشترك والتعاون في تصميم الحلول لمعالجة التحديات الرئيسية وتطوير الممارسات البديلة وتحدي الوضع الراهن في الوقت المناسب.

إن الوحدة الأفريقية الجديدة هي الطريق نحو مستقبل أكثر إشراقاً لأفريقيا. تؤكد العديد من الحركات الشعبية اليوم على مركزية المبادئ الحديثة للقومية الأفريقية في مسيرة التحرر والتقدم القاري كما وتُصر على تطبيق هذه المبادئ الجامعة في نضالاتها المشتركة نحو العدالة.

«لا بد علينا أن نصون القارة الأفريقية ونحافظ على استمرارية الحياة فيها للأجيال العديدة القادمة».

قصص

روايات من الأعمال والحملات التي لا تنسى، محلّلة ما قد نجح، أو لم ينجح، ولماذا.

كيسنغاني تطالب بالتيار الكهربائي

«بقلبي سأرمي وجوه العداة، فقلبي حديدٌ وناري لظى» -الشاعر عبدالرحيم محمود

تعد جمهورية الكونغو الديمقراطية مباركة وملعونة في آن واحد. فهي واحدة من أغنى دول العالم بالثروة المعدنية والموارد الطبيعية. تحديداً، تطمع الشركات الأجنبية والدولية لاستخراج مادتي الكوبالت والنحاس من الكونغو، اذا تعد هاتين المادتين من الأكثر كفاءة لتصنيع البطاريات والأجهزة الإلكترونية القابلة لإعادة الشحن. ومن المفارقة، **أقل من ٢٠ بالمائة** من سكان الكونغو يتمتعون بنعمة الكهرباء!

عام ٢٠١٨، عانت مدينة كيسنغاني، وهي مقر لسد أساسي في توليد الطاقة الكهرومائية، من انقطاع شبه تام للطاقة على مدى شهرين متتاليين. لم تتمكن الشركة الوطنية للكهرباء (Société Nationale d'Electricité - SNEL) من امداد بلديات المدينة الستة بالطاقة، ويرجح ذلك إلى فشل تقني في شبكاتها وفساد إدارتها. رداً على هذا الوضع، شنت حركة «الكفاح من أجل التغيير» (La Luttle pour le Changement (LUCHA بالفرنسية) معركة شعواء لمحاسبة السلطات والمسؤولين.

ركزت الحركة على تعبئة السكان المحليين، باعتبارهم الأكثر تضرراً من انقطاع التيار (**لنأخذ القيادة من الأكثر تضررا :مبدأ** انظر)، معتمدين على التوعية كخطوة مسبقة لأي تحرك ميداني. وبحكم التاريخ الدامي للكونغو بسبب حروب سفكت دماء الناس ودمرت البلاد تدميرا، أصبح انقطاع الكهرباء أمرا طبيعيا ولم يعد يرى سكان المنطقة بأن تمتعهم بالكهرباء هو حقاً مستعجلاً وجوهري. أطلقت LUCHA مبادرة مكثفة لرفع الوعي، **من توزيع المنشورات وتعليق اللافتات** إلى التواصل المباشر مع السكان وعقد اللقاءات الفردية.

بعد هذه المبادرة بحوالي شهرين، دعت الحركة إلى تجمهر حاشد تلته مجموعة من المسيرات والمظاهرات (**الحراك الجماهيري :تكتيك** انظر) حيث أقام سكان المدينة اعتصامات شعبية أمام مقر شركة الكهرباء ومجلس البلدية ومكتب حاكم المقاطعة تحت مطلب موحد يتمثل في إيجاد حل نهائي لمشاكل حمولة الشبكة. يعد هذا النوع من التحرك الميداني غير مسبوق نظرا لوحشية النظام التي واجهها سكان كيسنغاني إثر تظاهرهم. إلا أنه كان قد طفح كيلهم فخرجوا إلى الشوارع حاملين روحهم على راحاتهم ومدججين بغضبهم الأخلاقي إزاء انتهاك النظام لحقوقهم الدستورية (**الغضب أفضل مع أخلاقيات عالية :مبدأ** انظر).

وكما كان متوقعا، قابلت السلطات المتظاهرين السلميين بالعنف، فاستخدمت الشرطة الرصاص المطاطي والغاز المسيل للدموع، إلى جانب حملة التهديد والترهيب التي شنتها أجهزة المخابرات لردع المنظمين من المطالبة بحقوقهم.

وبالرغم من قمع الدولة، نجح الحراك في توليد ضغط كافٍ جعل النظام الكونغولي يخشى زيادة حدة السخط الشعبي. فقد كان يرى النظام بأن العمل الجماعي تهديدا لوجوده، إذ ان استمرار الاحتجاجات قد تكون بداية شرارة قد تنتشر إلى مختلف أنحاء البلاد وتشعل انتفاضة شعبية (**التهديد عادة ما يكون أكثر رعبا من الفعل :مبدأ** انظر)، لاسيما في ظل الثورات التي كانت قد شهدتها دول الجوار آنذاك.

وبعد فترة وجيزة من هذه التوترات، قامت السلطات بطرد المدير الإقليمي لشركة الكهرباء الوطنية كونه «عديم الكفاءة» وعينت مكانه مديرا آخر، كما واعتمدت خطة استراتيجية جديدة لحل مشاكل انقطاع الطاقة وتحسين الامداد الكهربائي في كيسنغاني. وأعلنت كذلك عن خطط لبناء سد كهرومائي ثان.

في نهاية المطاف، تخوفا من نمو حراك أكثر امتداداً وقوة، أجبر سكان مدينة كيسانغاني السلطات على الاستجابة للمطالب الشعبية وإيجاد حل محلي ومستدام.

التكتيكات الأساسية

الحراك الجماهيري

أدى انخراط أعداد كبيرة من الناس في المسيرات والوقفات الاحتجاجية والاعتصامات إلى إيصال صوت السكان المحليين إلى السلطات مباشرة، متجاوزين بذلك ممثليهم المنتخبين عديمي الكفاءة. كما سمحت هذه التحركات الميدانية للناشطين والحركات الأخرى من خارج المدينة الانضمام لحراك كيسنغاني وتقديم الدعم للسكان المحليين مما زاد الناس شعوراً بالوحدة والتضامن. من خلال التجمهر في الشوارع والعمل الميداني، استطاع الناس تحويل خوفهم من النظام إلى نقطة قوتهم ضده.

المبادئ الأساسية

المحافظة على الانضباط السلمي

بعد أن ذاق شعب كيسنغاني مرارة الحرب الأهلية، أدرك جيدا أهمية التمسك بمبادئ العمل السلمي مهما بلغت شدة عنف السلطات. عزز هذا الانضباط صمود الناس وساعدهم في التغلب على خوفهم من السلطات. وفي ذات الوقت، مكن هذا الانضباط الحركة من التصرف بحكمة وإلغاء التجمعات عندما وصل القمع إلى حد خطير للغاية

✓أسباب النجاح

قامت الحملة بخطوتين ذكيتين، أولهما إطلاق مبادرة توعية مكثفة قبل القيام بأي تحرك ميداني. فقد أدركت الحركة أهمية اتساع الانخراط الشعبي في الاحتجاجات ليكون الضغط ذات جدوى. ومن جهة أخرى، أصرت الحركة على على رفع شعار موحد وصب جهودهم لإجبار السلطات على إيجاد حل لحمولة الشبكة الكهربائية لا أكثر، لأنهم كانوا يعوا تخوف عموم الناس من الانضمام إلى حراك يدعو تغيير سياسي جذري مما كان سيسهل على النظام شيطنة المطالبين بالإصلاح. وقد ألهم نجاح الحملة في مدينة كيسنغاني سكان مدن أخرى في مختلف أنحاء البلاد تنظيم حملات مشابهة للمطالبة بطاقة كهربائية مستدامة.

«استطاع الناس تحويل خوفهم من النظام إلى نقطة قوتهم ضده».

أنغولا 2+15

قصة 17 ناشط/ة شاب/ة وضعوا حياتهم على المحك عبر اضرابات عن الطعام و»مظاهرات فجائية» أدت للإطاحة بديكتاتور أنغولا ووضعت حداً لأكثر من 30 سنة من الاضطهاد.

«لا تسقني ماء الحياة بذلة، بل فاسقني بالعز كأس الحنظلماء الحياة بذلة كجهنم، وجهنم بالعز أطيب منزل» - الشاعر عنترة بن شداد

في ٧ آذار (مارس) لسنة ٢٠١١، نظمت مجموعة من الشباب الأنغوليين أول احتجاج غير حزبي شهدته البلاد منذ ٣٥ عام. فقد قرروا مواجهة عقود من الاضطهاد سعيا لتحقيق العدالة الاجتماعية والحريات المدنية والحقوق السياسية وصولاً إلى الخدمات العامة. تخلل عن الوقفة الاحتجاجية مجموعة سميت ب «تكتل ٧٣١١» تيمنا بتاريخ هذه المظاهرة الأولية.

في البداية، لم تكن أهداف التكتل واضحة ولكن المجموعة كانت على يقين من أمر واحد، أنه قد دقت ساعة الوقوف بوجه الدكتاتور خوسي ادواردو دوس سانتوس الذي حكم أنغولا بقبضة حديدية لأكثر من ٣٠ سنة.

على مدى عقود، احتكرت الدولة وسائل الإعلام مما جعل الوصول إلى مصادر الأخبار المستقلة وغير الخاضعة للرقابة أمراً شبه مستحيل. ردا على ذلك، أنشأ التكتل صفحة على الفايسبوك تدعى «٧٣١١ المركزية» (**٧٣١١ Central**) للتواصل المباشر مع الجمهور الأنغولي والتعريف بأهدافها ونشر دعوات التحرك من خلالها. بينما كان تواجد أي حراك شعبي على مواقع التواصل الاجتماعي أمراً بديهياً في الدول المجاورة عبر القارة الأفريقية، إلا أن استخدامها في أنغولا كان فعلاً راديكالياً (**مبدأ: Define "hardcore" strategically** انظر).

إضافة إلى ذلك، عملت وسائل التواصل الاجتماعي كآلية دفاعية للحفاظ على **سلامة** النشطاء وضمان سلاسة إدارة عمليات الحركة. كما ولعبت صفحة الفايسبوك دورا حاسما في بناء قنوات اتصال عززت ثقة المؤيدين بالحركة من خلال مشاركتنا لقصص تحاكي المعاناة اليومية التي يعيشها الأنغوليين كسوء ادارة النفايات أو هزالة الخدمات الصحية (**رواية القصص :تكتيك** انظر).

في بادئ الأمر، قمنا بأعمال ابداعية بسيطة مثل **الرسم على الجدران** ومن ثم انتقلنا إلى تحركات أكبر وأكثر تقليدية **كالاحتجاجات الميدانية** مما ساعد على إبراز الحراك شيئا فشيئا. ولكن كان هذا النهج سيفا ذو حدين. ففي ظل الديكتاتوريات المترسخة، قد تعرض الأعمال البسيطة النشطاء لخطر أكبر اذ أنها قد تكشف عن هويتهم للنظام بشكل مبكر وتجعلهم مستهدفين من قبل القوى الأمنية. فعلى سبيل المثال، حُكم على أحد النشطاء بالسجن لكتابتهم عبارة «ديكتاتور مثير للاشمئزاز» على جدار في المدينة بينما واجه آخرون مضايقات ومنهم من فقدوا وظائفهم بسبب ارتباطهم بتكتل ٧٣١١.

بحلول عام ٢٠١٤، لم يبقى سوى ١٧ شخصا من بين الشباب والشابات المؤسسين للتكتل على استعداد لمعارضة النظام علناً. بعد أن أدركنا أن تحركاتنا لم تعد تلفت نظر الرأي العام، قمنا بتغيير أسلوب عملنا (**التغيير هو الثابت الوحيد :مبدأ** انظر). فعدنا إلى مواقع التواصل الاجتماعي ولكن هذه المرة لنشر تقارير إخبارية حول حول قضايا وطنية مثل عنف الشرطة وقوى الأمن وسوء البنية التحتية وارتفاع معدلات البطالة وغيرها التحديات التي تواجه مجتمعاتنا بشكل يومي.

وقمنا أيضا بإعادة النظر في تكتيكاتنا. انخرطنا فيما سميناه «**المظاهرات الفجائية**» والتي تتمثل في إقامة مظاهرات غير معلنة وتصويرها ومن ثم تحميل مقاطع الفيديو على وسائل التواصل الاجتماعي فور القيام بها وكأنها «تحدث الآن». اربك هذا التكتيك الدولة لأنها لم تتمكن من القبض على أي أحد في مواقع التظاهر، وفي ذات الوقت ساهم في إعادة إحياء الأمل لدى الناس الذين فرحوا بعودة المظاهرات تحدياً للقمع الساحق.

في محاولة لإضفاء المزيد من الابداع للحركة، أنشأنا حلقة نقاشية سنة ٢٠١٥ لتداول كتيب جين شارب المدعو ١٨٩ طريقة للحراك السلمي. ولكن تم القبض على أفراد الحلقة بعد أربعة اجتماعات فقط، حيث زعمت الدولة أن الحلقة كانت تنظم انقلاب على نظام الحكم. عندها بدأت محاكمتنا وسميت القضية ب»١٥+٢» لأنه تم توجيه التهم الى شابتين ناشطتين، روزا كوندي وأنا، إلى جانب ١٥ شاب ناشط. أصبحنا بذلك معتقلين سياسيين، ولكننا استمرينا بالنضال من وراء القضبان، حيث استخدمنا تكتيكات **كالتعري** و**الإضراب عن الطعام** للمطالبة بحقوقنا وفضح عنف وبطش النظام.

كانت سنة ٢٠١٦ محورية في كفاحنا حيث أجبرت جهود التضامن المحلي والدولي (**التضامن داخل المُعتَقَل :تكتيك** انظر) النظام على اطلاق سراحنا كما **وأعلن** أن خوسيه ادواردو دوس سانتوس الذي ترأّس الدولة على مدار ٣٧ سنة لم يعد حاكماً للبلاد.

أدت محاكمات ١٥+٢ والأحداث السياسية التي تلت إلى ظهور العديد من المبادرات في المجتمع الأنغولي من بينها الحركة النسوية ومشروع أوبنتو (Ubuntu) وحراك أونجانغو فيمينيستا (Ondjango Feminista). بالرغم من أن الحريات المدنية لا زالت محدودة اليوم، الا أن انتصارنا الجزئي في الإطاحة بدوس سانتوس مكن الشعب الأنغولي من استعادة بصيص الأمل لمستقبل أفضل (**الرؤية المستقبلية :نظرية** انظر) كما ووضع أساس ثابت لاستكمال مسيرتنا النضالية.

التكتيكات الأساسية

الاضراب عن الطعام

استخدم ناشطو ٧٣١١ الإضراب عن الطعام بشكل استراتيجي للفت انتباه المجتمع الدولي، مما زاد الضغط على النظام الحاكم بشكل كبير. يعد الإضراب عن الطعام عمل فردي أخلاقي ودراماتيكي، وهو تكتيك «متباين» اذ يمكنه أن يكون فعالا للغاية حتى في مواجهة التفاوت الحاد في موازين القوى (مثل عمل فردي بمشاركة ١٧ شخصاً في وجه نظام برمته). أثبت التكتيك فاعليته في تجييش عواطف عامة الشعب وبناء زخم سياسي لقضية المعتقلين ١٥+٢ وكذلك في دعم المطالب الأوسع المتمثلة بالحريات المدنية والحقوق السياسية.

احتجاج مفاجئ

كيف يمكننا غرس شعور التمرد على نطاق شعبي واسع دون تعريض أي كان لاعتداءات الأمن الشرسة؟ عن طريق تنظيم سلسلة من الأعمال السريعة وبثها فور حدوثها ومن ثم الفرار من موقع التجمع قبل وصول الشرطة! كانت «المظاهرة الفجائية» من تكتيكات تكتل ٧٣١١ الأكثر ابتكاراً وتتقاطع بفحوها مع تكتيكات سرية أخرى استخدمتها الشعوب المقهورة حول العالم في مقاومة الاستبداد والعنف المفرط منها **التوزيع السري للمنشورات والاحتجاج بالضجيج** (كاسيرولازو) **والمسرح الثوري**.

المبادئ الأساسية

المحافظة على الانضباط السلمي

كنا نعرف أن الفوز بمعركة ضد نظام قمعي يحتكر العنف ووسائل الاعلام أمراً يتطلب منا الحفاظ على الانضباط السلمي، مما جعل اتهام النظام لنا بالارهاب أو الخيانة أمراً صعباً للغاية، خاصة اذ أن هذه هي الذرائع المعتادة التي توظفها وسائل النظام الدعائية والبروباغندا السياسية ضد المعارضة الشعبية.

التركيز على الاحتياجات الأساسية

تعد مطالبنا السياسية مصيرية للغاية لتحقيق العدالة في أنغولا. وبالرغم من ذلك، فإن الواقع المرير الذي يعيشه الشعب بشكل يومي، من سوء الخدمات الصحية ومضايقات الشرطة وبؤس البنية التحتية والبطالة، يجعل هذه القضايا أكثر آلحاحاً. وبالتالي توجب علينا التركيز على الصور والقصص التي تحاكي المعاناة والاحتياجات اليومية للمواطنين مما أسهم بإبقاء تكتل ٧٣١١ حياً ومرتبطاً مع مطالب القاعدة الشعبية.

✓أسباب النجاح

العنصران الأساسيان اللذان ساهما في إنجاح ٧٣١١ هما الثقة والتوقيت. فقد كان يستحيل كسر العلاقة التي تربط بين الأعضاء الـ١٧. كنا نؤمن بنفس القيم الأساسية ونثق ببعضنا البعض ومعاً كنا على يقين بأن قوتنا كافية لمواجهة أسوء أعدائنا. ولعب التوقيت دوراً حاسما أيضا اذ أن اضرابنا عن الطعام، إضافة إلى ردود التضامن، وضع أنغولا تحت المجهر وتفتحت أعين المجتمع الدولي على الفضائح العديدة التي لم يعد النظام قادر على اخفاؤها... فالشمس لا تغطى بغربال. أدى هذا التسلسل الزمني إلى أزمة وطنية حقيقية بدأت بإعادة ترتيب البنية الداخلية للنظام مؤدية بالنهاية للإطاحة بدوس سانتوس وإجراء الانتخابات.

X معوقات النجاح

كان بطش الدولة بتكتل ٧٣١١ بطشاً وحشيا بلا هوادة. اخترق النظام مجموعة العمل وقام بالاعتداء على الكثير من الناشطين فيها، فقتل بعضهم وأجبر بعض آخر على مغادرة البلاد والإقامة بالمنفى. كما قام النظام برشوة آخرين، مما زاد من ضعف التكتل. مع تزايد حالات القتل والاختفاء القسري، زاد الخوف بين الناس وأدى إلى انحسار الدعم الشعبي العلني للتكتل. ولكن، في نهاية المطاف، لم يستسلم الأعضاء الـ١٧ الأساسيين وواصلوا المسيرة رغم التحديات.

«أصبحنا بذلك معتقلين سياسيين، ولكننا استمرينا بالنضال من وراء القضبان».

أعيدوا فتياتنا

أطفال يعرفون باسم «سفراء فتيات تشيبوك» في أبوجا بنيجيريا يوم 21 آب (أغسطس) 2015، اليوم الذي يصادف ذكرى مرور 500 يوم عن حادثة الاختطاف. تصوير: أولاتونجي أولانريواجو

طفال يعرفون باسم «سفراء فتيات تشيبوك» في أبوجا بنيجيريا يوم ٢١ آب (أغسطس) ٢٠١٥، اليوم الذي يصادف ذكرى مرور ٥٠٠ يوم عن حادثة الاختطاف. تصوير: أولاتونجي أولانريواجو

في ١٤ نيسان (أبريل) ٢٠١٤، قامت جماعة بوكو حرام الارهابية بشن غارة على مدرسة ثانوية عمومية في بلدة تشيبوك بنيجيريا مما أدى إلى تهديمها بالكامل. تم صف ٢٧٦ طالبة كن يستعدن لامتحان، وأجبرن على الركوب في شاحنات حيث قامت ٥٧ فتاة بالقفز من الشاحنات أو الهروب في الأيام التي تلت.

لم يكن رد الحكومة على الحادثة لائقاً. فقد نفى الجيش حدوث عملية الاختطاف في البداية وتراجع عن أمر كان قد صدر لانقاذ الفتيات، لتقوم بعدها السيدة الأولى للبلاد بتنظيم اجتماع في القصر الرئاسي لأصحاب الشأن والمسؤولين إلا أنه سرعان ما تحول إلى لقاء عاطفي وكوميدي.

سعت حملة «أعيدوا فتياتنا» لتحقيق هدفين، الأول التضامن مع أهالي الفتيات والمجتمعات المتأثرة بالحادثة وثانياً مساءلة الحكومة إزاء فشلها في حماية مواطنيها اذ لم تتخذ اجراءات ملائمة لمواجهة حركات الشغب التي اجتاحت البلاد منذ سنة ٢٠٠٩. مَثَّل الاختطاف ذروة المأساة في موجة الرعب التي خلفتها جماعة بوكو حرام على الممتلكات العامة وخاصة المدارس.

وظفت الحملة أساليب التنظيم الافتراضي والميداني. تم تأطير الحملة الالكترونية تحت وسم #أرجعوافتياتنا أو #أعيدوافتياتنا(#BringBackOurGirls) والتي انتشرت في نيجيريا وحول العالم (**حملات الهاشتاغ :تكتيك** انظر). قامت الحركة بتكثيف استخدام المنصات الافتراضية مثل تويتر وفيسبوك لتوسيع دائرة المناصرة. استطاعت الحملة إشراك الناشطين والجهات الفاعلة في المجتمع المدني والأشخاص المؤثرين على مواقع التواصل الاجتماعي وفنانين ومشاهير وشخصيات عامة وسياسية من خلال تشجيعهم على استعمال وسم الحركة (الهاشتاغ). عوضاً عن التواصل مع أولئك للدعم فقط، دعتهم الحملة للمشاركة في تنظيم الجهد الالكتروني من خلال كتابتهم لنماذج من التغريدات للحملة والبث المباشر وغيرها من التقنيات (**كلنا قادة :مبدأ** انظر).

قمنا بإطلاق الحملة الالكترونية بعد أن بلغت الأنشطة الميدانية ذروتها. كانت أول التحركات مسيرة زحفت نحو مجلس الأمة النيجيري في العاصمة أبوجا بقيادة مئات من النساء. من اللقاءات المجتمعية الصغيرة إلى المظاهرات المحلية، اكتسبت التكتيكات الميدانية هذه زخما واسعا مما أعطى أهمية أكبر لوسم الحملة وارتبطت أنشطة الحملة على أرض الواقع بالعالم الافتراضي. ولضبط ايقاع الحملة، تم عقد اعتصامات منتظمة بشكل يومي في أبوجا وبشكل أسبوعي في لاغوس. ورغم تناقص أعداد المشاركين مع الوقت، مازالت هذه الاعتصامات مستمرة حتى بعد خمس سنوات من الحادثة. نجحت الحملة بتحويل مشكلة متأصلة كانت قد فشلت الدولة بمعالجتها إلى قضية مُلحة تتطلب اهتماما عاجلا كما واستطاع المنظمين توظيف الغضب الشعبي إثر وقوع الحادثة لدعم الحملة (**الفزعة :نظرية** انظر).

قامت الحملة بتصميم دعواتها للتحرك بشكل يمكن الناس من المشاركة أينما كانوا ووفقا لقدراتهم (**لنوجد عدداً من المداخل :مبدأ** انظر). كما واقترحت عدد من الأفعال التي يمكن للناس تنظيمها للضغط على محافظي البلديات وأعضاء البرلمان إلى جانب سلسلة من الأفعال التضامنية الرمزية. ونشرت الحملة مواقع التحركات المحلية والدولية بترتيب جغرافي ليتمكن الناس من الانضمام للفعاليات القريبة من محطيتهم. وفي أوج موجة الغضب العالمي، قامت شخصيات بارزة مثل ميشيل أوباما والمغنية أليشيا كيز والممثلة أنجيلينا جولي وغيرهن باستخدام وسم الحملة على صفحاتهم الالكترونية كما قام العديد من البرلمانات حول العالم بضم أصواتهم إلى مطالب الحركة.

منذ وقت وقوع الحادثة وحتى نيسان (أبريل) ٢٠١٩، تم لم شمل ١٠٧ فتاة مع عائلاتهم من خلال سلسلة من المفاوضات على مستوى الدولة والقوى العسكرية التي أجريت تحت ادارة رئاسية جديدة تولت السلطة سنة ٢٠١٥.

«نجحت الحملة بتحويل مشكلة متأصلة كانت قد فشلت الدولة بمعالجتها إلى قضية مُلحة تتطلب اهتماما عاجلا».

النظرية الأساسية

التأطير

لم تكن الحملة على استعداد للاشتباك مع الدوامة السياسية النيجيرية، خاصة في ظل حكومة متشبثة بالسلطة مع اقتراب الانتخابات. ومن خلال التركيز على مطلب رئيسي واحد يتمثل في اعادة فتيات تشيبوك، نجحت الحملة في التغلب على الخلافات حول سردية القضية وتأطيرها السياسي.

التكتيكات الأساسية

حملات الهاشتاغ

لعبت منصات تويتر وفايسبوك دورا كبيرا في الحملة. تم توحيد وسم الحملة واستخدام هذه المنصات لتحفيز النقاشات العامة حيث تمكن القائمون عليها من إيصال رسائل محددة ضمن خطاب موحد وتعميم البيانات الصحفية على نطاق واسع. وبسبب طبيعتها الافتراضية، استطاع الهاشتاغ عبور الحدود ودفع الناس حول العالم إلى إعطاء أهمية لقضية الاختطاف. وكان توحيد الوسم وإطلاقه فوراً بعد الحادثة أمران ساهمان في تعزيز الحضور الإلكتروني للحملة واتساق التحركات الافتراضية مع مطالب الحملة وتحركاتها على أرض الواقع.

المبادئ الأساسية

المحافظة على الانضباط السلمي

بعد أن ذاق شعب كيسنغاني مرارة الحرب الأهلية، أدرك جيدا أهمية التمسك بمبادئ العمل السلمي مهما بلغت شدة عنف السلطات. عزز هذا الانضباط صمود الناس وساعدهم في التغلب على خوفهم من السلطات. وفي ذات الوقت، مكن هذا الانضباط الحركة من التصرف بحكمة وإلغاء التجمعات عندما وصل القمع إلى حد خطير للغاية.

✓أسباب النجاح

كان التزام الناس بالمشاركة في الاعتصامات اليومية والأسبوعية، خاصة في بداية الحملة، مفتاحاً رئيسياً لنجاحها. عادةً ما تقوم المظاهرات في نيجيريا إزاء حدث ما لمدة يوم واحد. وعلى خلاف هذا النمط من الاحتجاج، تميزت الحركة بتنظيمها المحكم، مما فاجأ الحكومة التي لم تكن مستعدة للمواجهة ولم تكن تريد إعطاء القضية الأهمية اللازمة.

إلا أن استطاعت الحملة بتصعيد الغضب المحلي المتراكم تجاه الحكومة النيجيرية مضيفة إلى ذلك الضغط الناتج عن ردود الفعل الدولية. واليوم، أصبح موقع الاعتصامات في أبوجا المعروف بـ»نافورة الوحدة» مساحة رمزية للمواطنة حيث تتجمهر العديد من الحملات والنقابات العمالية والحركات الشعبية للاحتجاج.

زادت جهود المناصرة التي نظمتها الحركة، بشكل غير مباشر، من الاستياء الشعبي تجاه ادارة جوناثان غودلاك للبلاد آنذاك، مما أدى إلى تحول في المشهد السياسي. تمكن النيجيريون خلال الانتخابات الرئاسية في مارس ٢٠١٥ ولأول مرة من منع الحكومة القائمة من النجاح في دورتها الانتخابية الثانية.

X معوقات النجاح

بالرغم من نجاح الحركة في إيصال قضية الفتيات إلى الساحة السياسية الدولية، إلا انه وبعد خمسة سنوات من الاختطاف لا تزال ١١٢ فتاة محتجزات لدى بوكو حرام. انتقد البعض تفاعل الحركة الندي والمحتقن مع الحكومة ومنهم من أدعى بأن الحكومة كانت قد استجابت بشكل أفضل لو جاءت مطالب الحملة بنبرة أكثر ودية. لكن في المقابل، إن حدية الحملة هي التي دفعت الحكومة الجديدة إلى إحراز تقدم في القضية مما أدى إلى عودة ١٠٧ فتاة إلى بيوتهن.

حركة فلتسقط الرسوم

مدينة بريتوريا في جنوب أفريقيا يوم 23 تشرين الأول (أكتوبر) 2015 CC BY-NC-ND 2.0 | Photo: Paul Saad

«جيل مسؤول عن كشف غموض مهمته. فإما يحققها أو يخونها» - فرانز فانون

في ١٤ تشرين الأول (أكتوبر) لسنة ٢٠١٤، أقام طلبة وموظفي جامعة ويتواترسراند **اعتصام مفتوح** في مبنى الادارة مغلقين بذلك الجامعة بالكامل رداً على ارتفاع الرسوم الدراسية. قامت شرطة مكافحة الشغب بالقبض على أكثر من ٢٥ طالبا مما دفع حوالي ألف شخص للاعتصام ليلاً أمام مركز الشرطة المحلي للمطالبة بالإفراج عن رفاقهم.

في غضون الأسبوع الأول، انتشرت الهبة الطلابية إلى جامعات أخرى حول البلاد (**الحراك الموزع :تكتيك** انظر) ولم تقتصر احتجاجاتهم على الرسوم الدراسية وحسب، بل امتدت للمطالبة باصلاحات أوسع للقضايا الطلابية.

تنظمت الاحتجاجات لاحقا تحت شعار #فلتسقط_الرسوم المعروفة بـ «فيز ماست فول» (#FeesMustFall) في أول هبة طلابية كبرى في جنوب أفريقيا منذ انتفاضة سُوْيتو عام ١٩٧٦.

كانت المطالب متعددة الأوجه. ففي جامعة ستيلينبوش، احتج الطلبة على استخدام الجامعة للغة الأفريقانية كوسيلة التدريس الأساسية. وفي جامعة كيب تاون، قامت احتجاجات «#فليسقط_رودس» (#RhodesMustFall) لإبراز إشكالية الإحتفاء المستمر بسيسيل رودس الذي يمثل جانبا مظلما لجنوب أفريقيا أثناء فترة الاستعمار والفصل العنصري حيث قام الطلاب بتشويه تمثاله مطالبين بإزالته من الحرم الجامعي. أما في الجامعة المعروفة حاليا باسم رودس (UCKAR)، قامت مجموعة من الطالبات اللواتي تعرضن للعنف الجنسي بالكشف عن جرائم الطلبة المعتدين من خلال نشر قائمة مجهولة المصدر تكشف عن أسماء الجناة. عرفت القائمة لاحقا باسم «قائمة ار يو المرجعية» (#RUReferenceList).

من بين الأقوال المأثورة للحركة «ان لم تكن ثورتنا بؤرة لتقاطع النضالات فإنها بؤرة للهراء» (**التقاطعية :نظرية** انظر). وبهذا النفس، أعلنت حركة «فيز ماست فول» عن تضامنها مع نضالات متعددة منها محاربة ممارسة تنفيذ عقود العمل من خلال الاستعانة بمصادر خارجية (Outsourcing) حيث طالب العاملين في مجال النظافة والطهي والبساتين الجامعة إنهاء هذه الممارسة والحصول على أجور كريمة تحت شعار #لننهيالاستعانةبمصادر_خارجية (#EndOutSourcing).

بالرغم من جوهرية مبدأ التقاطعية، فقد قاوم بعض أعضاء الحركة إدراج القضايا الجندرية ضمن المطالب الاحتجاجية. ونظراً للطابع التقدمي للحركة، لم تأت خطوة إعادة توجيه النقد للبنية الداخلية للحركة كخطوة مفاجئة. أدت التوترات الايديولوجية داخل صفوف الحركة إلى تشكل مجموعات مطالبة بإسقاط المجتمع الأبوي (#PatriarchyMustFall) ومناهضة ثقافة الاغتصاب (#EndRapeCulture) بقيادة نسويات يؤمن بالتقاطعية (**النِّسويّة :نظرية** انظر). وكان الهدف من هذه المجموعات كسر الصمت السائد حول القضايا الجندرية وهو صمت يطغى على السياسات الوطنية ككل.

عبر الطلبة عن استيائهم من نمط العمل السياسي الذي آل إليه أولئك الذين حاربوا ذات يوم من أجل الحرية والكرامة للغالبية العظمى من السود والذي أصبحوا هم نفسهم النخبة الحاكمة التي تنفذ سياسات الرأسمالية العالمية (**الرأسمالية :نظرية** انظر) المعنية بإعادة إنتاج فكرة تفوق البيض وتحويل الخدمات الأساسية مثل التعليم إلى مشاريع ربحية. وبالتالي، تخللت عن الاحتجاجات الطلابية حركة شبابية متمسكة **بالقضاء على الاستعمار** في كل جوانب حياة المجتمع في جنوب أفريقيا.

قامت الحكومة بإلغاء قرار رفع الرسوم الدراسية لسنة ٢٠١٥/٢٠١٦ ثم أعادت إقراراه خلال الموسم الدراسي التالي مما أثار موجة أخرى من الاحتجاجات سنتي ٢٠١٦ و٢٠١٧ الشيء الذي دفع الحكومة إلى الاستجابة لمطالب الطلبة بشكل نهائي حين أعلنت عن اعفاء الرسوم الدراسية للطلبة ذوي الدخل المحدود والطبقة الكادحة مؤكدة على حقهم في التعليم العالي، إلا أن القرار مازال قيد التنفيذ ومن المتوقع بدء العمل فيه ابتداء من شهر آب (أغسطس) لسنة ٢٠١٩.

النظرية الأساسية

التقاطعية

على غرار القضايا الطلابية والاصلاحات التربوية، شاركت حركة «فيز ماست فول» في نضالات أخرى كالمطالبة بتحسين أجور العاملين في الجامعات ومواجهة النظام الأبوي وبقايا الخطاب الاستعماري. ومع ذلك، لم تتبلور التقاطعية بشكلها الكامل فيما يخص السياسات الداخلية للحركة التي همشت القضايا الجندرية إضافةً إلى تعرض بعض الطالبات إلى التحرش من نظرائهن الذكور حتى أثناء الاحتجاجات.

التكتيكات الأساسية

الحراك الموزع

امتدت احتجاجات حملة «فيز ماست فول» إلى كافة الجامعات في جنوب أفريقيا خلال أسبوع واحد، حيث صمم النشطاء في مختلف الكليات والجامعات تحركاتهم بشكل مستقل. وقد كان النظام غير قادر على الاستجابة بطريقة منسقة أو تقويض الحركة من الداخل بسبب تنظيمها اللامركزي.

✓ أسباب النجاح

قامت حركة «فيز ماست فول» إعادة تأطير الحوار السياسي من منطلق إصلاح التعليم إلى منطلق القضاء على الاستعمار. كما نجحت في تعبئة حشود من اليافعيين وتنظيمهم للانخراط في العديد من القضايا الاجتماعية والسياسية على مدى عامين. ساعد التنظيم اللامركزي للحركة حمايتها من الاختطاف أو إدعاءات القيادة الأحادية من قبل أي من الأطراف المشاركة. كما تشكلت الحركة من فئات متنوعة من الطلبة وشارك فيها طلاب من خلفيات وأحزاب سياسية متعددة، فلم تتبنى الحركة أيديولوجية محددة مما شجع الجميع إلى المشاركة فيها.

X معوقات النجاح

بالرغم من أن التعددية الفكرية شجعت كافة الطلاب على المشاركة في الحراك، الا أن عوامل أخرى مثل الطبقة واللغة والهوية الجندرية كانت محاور أخرى من شأنها خلق خلافات تخدم مصلحة النظام. استغل بعض الطلاب الناشطين هذه التناقضات لشق مسيرة مهنية في السياسة حيث أصبح اليوم بعضهم أعضاء في البرلمان. ومن جهة أخرى، أدى تدخل الشرطة والميليشيات الخاصة (جماعات شبه عسكرية) وأفراد الأمن الجامعي إلى تحول بعض الاحتجاجات إلى مواجهات عنيفة. كما لم تتمكن الحركة من تحقيق أهدافها الأكبر فيما يتعلق بتقويض الاستعمار بسبب استخدام بعض الطلبة للعنف وبسبب تكثيف الدولة للتواجد الأمني في الحرم الجامعي، هذا إلى جانب غياب حوار فعلي وبناء بين الأجيال.

«لم تكن «فيز مسات فول» حركة ذات قضية واحدة كما تم تصويرها، بل كانت تجسيداً لاستياء جيل الشباب من الأجيال السابقة وتعبيراً عن رغبتهم في إسقاط شرعية الأيديولوجيات والسياسات والأخلاقيات المتناقضة التي طغت على نظام الحكم في جنوب أفريقيا في فترة ما بعد الاستعمار».

قررت_غامبيا

الغامبيون يحتفلون بترسيم آداما بارو، خليفة يحيى جامع، كرئيس جديد لغامبيا سنة 2017

يعتقد العديد من الناس بأن الثورة الغامبية اندلعت بعد رفض الرئيس السابق يحيى جامع لنتائج الانتخابات تحت شعار #قررت_غامبيا (#GambiaHasDecided). إلا أن ذلك اعتقاد خاطئ. فكما حال معظم النضالات الأخرى، لم يكن اسقاط ديكتاتوراً كجامع أمراً سهل المنال دون تنظيم متجذر استمر بالعمل لسنوات عديد من وراء الكواليس.

على مدى أكثر من سبع سنوات، قام العديد من النشطاء والمبادرات الشعبية، بما في ذلك الشبكة الوطنية للشباب «أكتيفيستا غامبيا» (Activista The Gambia)، بتدريب الآلاف من اليافعين على مهارات بناء الحركة وتنظيم الحملات الاستراتيجية وسياسات الحكم الرشيد. يعد استخدام **التدريبات التنظيمية** خطوة استراتيجية ومسبقة لأي عمل ميداني في دولة تحكمها قبضة حديدية. مكنت تلك التدريبات اليافعين من النشطاء من تنظيم حملات صغيرة حول البيئة وحقوق المرأة والتعليم والتي جاءت بمثابة تحدٍ بطيء لهياكل الحكم القائم. قامت هذه الجهود ببناء الزخم وتهيئة المنظمين لاغتنام الفرصة سرعان ما تتاح من أجل تغيير سياسي هام (**البراكسس ممتازة :مبدأ** انظر). وهذا ما حصل بالفعل.

في نيسان (أبريل) لسنة ٢٠١٦، خرجت مظاهرة سلمية للمطالبة بالاصلاح الانتخابي إلا أن النظام اعتبرها تجمهر غير مشروع وقام بفضها بوحشية. أثارت وحشية النظام غضب عامة الشعب مؤدية إلى خروج أحد أهم الأحزاب السياسية وكذلك حشود ضخمة من المواطنين إلى الشارع مرة أخرى للمطالبة بالاصلاحات (**الفزعة :نظرية** انظر).

من بين التحركات الهامة التي تجلت بالابداع في فترة ما بعد انتفاضة نيسان هي ثورة الكالاباش (أو كالاما)، حيث تظاهرت النساء الريفيات بالكالاباش، وهي طاسات طعام تقليدية تدل على قيم التقاسم والمشاركة وترمز في هذا السياق إلى ضرورة القيادة التشاركية أيضا. وبذلك، صرحن المتظاهرات بأن الرئيس يحيى جامع لا ينبغي أن يكون الشخص الوحيد الذي يحتسي من الكالاباش، أي لا ينبغي أن ينفرد لوحده بالسلطة. ووظفت هذه التظاهرة الرموز الثقافية، مستندة إلى التاريخ والتقاليد المحلية، وبذلك عززت ارتباط المطالبة بإصلاح النظام برموز يفخر بها الغامبيون (**استخدم/ ي أصولك الثقافية :مبدأ** انظر).

وفي خضم الانتخابات التي عقدت في كانون الأول (ديسمبر) سنة ٢٠١٦، شجع الناشطون ومنظمات المعارضة الناخبين المسجلين لعدم التصويت للديكتاتور يحيى جامع. بداية، تم تنظيم حملة تعبئة الكترونية تحت وسم #غامبياتقرر (#GambiaDecides) (**حملات الهاشتاغ :تكتيك** انظر). في بادئ الأمر، أعلن جامع قبوله بالخسارة قائلاً بأن «غامبيا قد قررت» ولكنه سرعان ما تراجع عن رأيه وأعلن رفضه للنتائج بعد بضعة أيام من الإعلان السابق في مناورة أخيرة لتمديد حكم ديكتاتوريته. فقام منظمو الحملة بتغيير شعارهم من #غامبياتقرر إلى #قررت_غامبيا.

بعد انتهاء الانتخابات، ساد الخوف والترهيب بين الناس، مما صعب مهمة الائتلاف الوطني بالحشد والتعبئة دفاعاً عن نتائج التصويت. لتمكين الغامبيين من التغلب على خوفهم، نظم النشطاء حملة نشروا فيها صورا وفيديوهات للتأكيد على تمسكهم بالإرادة الوطنية مكررين شعار #غامبيا_قررت. أدت جراءة النشطاء المتمثلة في مطالبتهم العلنية بحقوقهم الدستورية رغم المخاطر التي تنطوي عن مثل هذا التصرف، إلى تشجيع المواطنين للانضمام إلى الحملة، مما أبرز حقيقة اتساع الدعم الشعبي للتغيير السياسي، الشيء الذي كان غير مرئيا من قبل (**لنجعل الخفيّ ظاهرا :مبدأ** انظر).

أحد أهم الدروس المستخلصة من هذه الحملة يتعلق بدور التضامن الدولي. على سبيل المثال، قامت «أفريكانز رايزينغ» (Africans Rising)، وهي حركة قومية أفريقية تسعى لتحقيق العدالة والسلام والكرامة في القارة، بارسال بعثة تضامن إلى غامبيا في أوج الأزمة السياسية. ضمت البعثة معظم قيادات الحركات الشعبية والمجتمع المدني الأفريقي الذين بدورهم قاموا بتحليل مراكز السلطة التي يتكؤ عليها نظام جامع (**أعمدة السلطة :منهجية** انظر)، مستخلصين بأنه لا يستطيع الصمود دون دعم من مجلسه الوزاري الذي يمنح الشرعية لحكومته. فقامت البعثة باستخدام تكتيك **بنك الاتصالات** بشكل مكثف، مطالبين الوزراء بالاستقالة. فكان لدى الوزراء خيار واحد من بين اثنين: إما الانضام إلى الثورة لضمان بقائهم بين أهلهم، أو اتخاذ صف جامع ضد الثورة الشيء الذي قد يؤدي إلى نفيهم بعد الإطاحة بجامع. وهنا، انقلبت موازين القوى، واختارت الغالبية العظمى من وزراء جامع الاستقالة.

بعد بضعة أيام، استسلم جامع وهرب إلى المنفى في كانون الثاني (يناير) ٢٠١٧.

التكتيكات الأساسية

التدريب

تتعامل العديد من دوائر النشطاء مع التدريب وكأنه «إضافة لطيفة» إلى صلب عملهم التنظيمي. إلا أن حقيقة الأمر هي أن التدريب يعد عنصرا حاسما لإنجاح الحملات السياسية كما كان الحال في غامبيا حيث عُقدت المئات من الدورات التي دربت الآلاف من الشباب وأعطتهم الفرصة لبناء الثقة فيما بينهم وتوطيد العلاقات وأثرت معرفتهم بالتخطيط الاستراتيجي قبل مواجهتهم لجهود إصلاح سياسي صعب.

المبادئ الأساسية

استخدم/ ي أصولك الثقافية

كنشطاء، غالبا ما لا تتوافر لدينا الموارد المالية أو المؤسساتية المتوفرة لدى خصومنا. وبالتالي نعتمد على الموارد التي نغتني بها كشعبنا وثقافتنا وغيرها. سواء كانت الكالاباش أو غيرها من التكتيكات التي خرجت من رحم ثقافتنا المحلية تعزيزاً لثورتنا، فقد كانت لهذه الرموز الأصيلة دوراً حاسماً في إرباك جامع والتعبير عن ديكتاتوريه كنظام «خائن» للتقاليد والأعراف التي تحاكي هوية الشعب الغامبي.

✓أسباب النجاح

كان الصبر والتخطيط للمستقبل عاملان أساسيان في نجاح الثورة الغامبية. كان لدى النشطاء فهما عميقا للفرص والمخاطر المرتبطة بواقعهم السياسي، مما جعلهم يدركون بأن مسيرتهم النضالية ستكون طويلة. من خلال التدريبات الاستراتيجية وتحقيق النجاحات التدريجية في حملات بدت آنذاك كحملات ضيقة النطاق، وعلى مدى أكثر من سبع سنوات، استطاع النشطاء على تأسيس قاعدة شعبية صلبة مستعدة للتصرف في أول الفرصة تتيح امكانية اسقاط جامع.

X معوقات النجاح

اعتقد المعسكر المؤيد للديمقراطية أنه خرج منتصرا بعد معركتة ضد الديكتاتورية ولكنه سرعان ما أدرك أن ربحه للمعركة لا يعني بأنه قد ربح الحرب. كانت المعارضة قد نجحت في تغيير الزعيم فقط، دون المس بالدولة العميقة والتي هي أساس النظام القمعي المتجذر الذي دعم جامع على مضى السنين.

«يعد استخدام التدريبات التنظيمية خطوة استراتيجية ومسبقة لأي عمل ميداني في دولة تحكمها قبضة حديدية».

مجمع غانا الفكري

مجمع غانا الفكري يدرس مشاكل الولايات المتحدة الأمريكية

مركز بحثي اللاجئين السودانيين المحتجزين في معسكر سجن هولوت في الصحراء أثناء سعييهم للحصول على اللجوء في فلسطين المحتلة/دولة الاحتلال الإسرائيلي.
تصوير: مجمع غانا الفكري

سواء أكانت بدافع الكرم أم الجشع، فإن اللغة التي تنتهجها «التنمية الدولية» غالبا ما تعزز فكرة تفوق مواطني «العالم الأول» على مواطني الجنوب العالمي. بالنظر إلى التاريخ الطويل والمدمر للاستعمار والامبريالية، فإن فكرة التفوق العرقي هذه تطيل أمد التمييز وانعدام المساواة بين القطبين عوضاً عن تخفيفه، كما وتصرف الانتباه عن حقيقة تدهور نمط الحياة في الولايات المتحدة الأمريكية خلال العقود الثلاثة الماضية.

إن مجمع غانا الفكري (Ghana ThinkTank) يمثل شبكة من مراكز الأبحاث في ما يسمى بـ«العالم الثالث» حيث تسعى هذه الشبكة لإيجاد حلول لمشاكل «العالم الأول» وبذلك تهدف إلى عكس مفاهيم «التنمية الدولية».

بدأت الشبكة بتأسيس مراكز أبحاث تقع في غانا وكوبا والسلفادور ومن ثم امتدت لتشمل قطاع غزة وايران والمغرب والمكسيك وإندونيسيا ومجموعة من النساء الشابات القابعات في السجون الأمريكي.

وتكون آلية سير العمل على النحو التالي. بدايةً، يتم تطوير قائمة من قبل مواطني المدن الأمريكية والأوروبية لتحديد المشاكل التي يعانون منها كالبدانة والجريمة والاكتئاب وحتى الاجتماعات المملة. وبعد إرسالها إلى مراكز الأبحاث في العالم «النامي» تقوم هذه المراكز بتحليلها واقتراح حلولا للمشاكل ليتم تنفيذ المقترحات في المدينة المعنية. تقوم المراكز بوضع تصورات لكل مرحلة من مراحل العملية حيث يتم عرضها ضمن معرض فني أو متحف تتم دعوة السكان المحليين والزوار اليه للمساعدة في تقديم الحلول أو لتسليط الضوء على مشاكل إضافية. تصلنا مشاكل متنوعة منها الأمور الشخصية المحضة كقول أحدهم «البارحة، تظاهرت بكوني ثنائي الجنس ليتم قبولي» إلى مشاكل اجتماعية مثل التعامل مع كبار السن كعبء على المجتمع، وحتى بعض المشاكل التي لا معنى لها، كمشاركة أحدهم بأن «مدينة كالسروه مسطحة ومملة للغاية».

من خلال قلب الأدوار النمطية للمساعد ومتلقي المساعدة، يخلق مجمع غانا الفكري وسيلة نادرة ومسلية للحوار المستدام بين الثقافات وبين مجموعات ذو تجارب وخلفيات متعددة. فعندما تفكر ثقافة ما في مصائب ثقافة أخرى، تظهر وجهات نظر بديلة قد تضم تأملات عميقة ومرحة في الغالب ونقدا عابرا للثقافات كما وتتفاعل وجهات النظر هذه بشكل مثير للاهتمام مع الصور النمطية حول الثقافة التي تتم دراستها. من بين الأمثلة عن ذلك، **تصريح** أدلت به مجموعة من السلفادوريين بأن «الناس في الولايات المتحدة الأمريكية يشددون على التعليم كوسيلة للحفاظ على نظام الهيمنة العالمي». وفي مثال آخر، أجابت المكسيك على مشكلة الفجوات بين الأجيال بقولها أن «اللاتينيين يحترمون كبار السن، وكذلك بالنسبة للأمريكيين من أصول أفريقية والآسيويين. وإن تعرض كبار السن لسوء المعاملة في مدينة ويستبورت بولاية كونيتيكت يعود إلى إدارة الأمريكيين البيض لهذه المراكز»، بينما كانت وجهة نظر غانا بأن «الغربيون يركزون أكثر مما يجب على الفردية».

في ختام المناقشة، يقوم كل مركز باقتراح حلول للمشاكل التي قاموا بدراستها. أنتجت بعض من هذه المراكز حلول عملية، بينما كانت بعض الحلول الأخرى غريبة جدا.

رجح مركز الأبحاث في ايران سبب اعتبار كبار السن كعبء على المجتمع في بريطانيا إلى أن الشباب يظنون أن كبار السن لم يسبق لهم فعل أي شيء مثير للاهتمام، وبالتالي لا يتعاطفون معهم. وقد اقترح هذا المجمع حلا يتمثل في عقد مقابلات مع كبار السن حول ذكرياتهم المشاكسة والمضحكة وترويجها بين الشباب على مشغلات «أم بي ثري» (mp٣). وهكذا، طلبنا من كبار السن في شوارع وحانات مدينة كارديف أن يقصوا لنا حكايات عن بطولاتهم الرومانسية في شبابهم.

اشتكى سكان مدينة ويستبورت والتي تعتبر واحدة من أغنى المدن في الولايات المتحدة الأمريكية بأن «جميعنا أشخاص بيض وأثرياء». وأجاب مركز الأبحاث في السلفادور كالتالي: «نراهن أن هناك تنوع مجتمعي واسع — نقصد، من الذي يقوم بإصلاح منازلكم والعناية بحدائقكم؟ نراهن بأنهم لا يشبهونكم». واقترح السلفادوريين توظيف عمال مهاجرين للمشاركة في المناسبات الاجتماعية في ويستبورت، وهو ما فعلناه مقابل نفس أجرتهم اليومية والتي تقدر بـ ١٥ دولارا للساعة.

استخدم مجمع غانا الفكري النموذج ذاته لبناء الجسور في مناطق النزاع حول العالم. على سبيل المثال، في ميتروفيتسا في كوسوفو، قام المجمع بضم مجموعات منقسمة على بعضها من الصرب والألبان لمحاولة أن يحل كل منهم مشاكل الآخر. وعلى الشريط الحدودي بين أمريكا والمكسيك، حاول المهاجرين الذين لا يحوزون على وثائق سفر إيجاد حلول للمشاكل التي يواجهها حرس الحدود. في نفس السياق وبعد فترة وجيزة من العنف الذي اندلع في الشرق الأوسط بسبب فيديو اسمه «براءة المسلمين» على اليوتيوب، قامت وزارة الخارجية الأمريكية ومتحف برونكس باختيار مجمع غانا الفكري للعمل كسفراء ثقافيين في المغرب. سافرنا عبر القرى طالبين مساعدة المغاربة لحل مشاكل أمريكا، واستخدمنا عربة حمار تم تحويلها إلى مركز إعلامي يعمل بالطاقة الشمسية كقاعدتنا.

يعتبر المشروع مزيجا جريئا من الاستفزاز الرمزي وحل لمشكلات حقيقية. مؤخرا، قام المجمع بتصميم حلول ذات أثر كبير مثل مشروع الرياض الأمريكي الذي يعمل مع مراكز الأبحاث الأندونيسية والمغربية التابعة لمجمع غانا الفكري في ديترويت من أجل بناء مشروع سكني وتجاري متكون من ١٤ وحدة سكنية باستخدام مبادئ العمارة الاسلامية المغربية التي صممتها المهندسة السورية المعروفة عالميا، د. مروة الصابوني من مدينة حمص المدمرة. ومن المفترض أن يكتمل مشروع نهوض-الرياض (Riad-raising) سنة ٢٠١٩.

بغض النظر عن قدرتنا على حل المشاكل أو عدمها، يتمثل الهدف الرئيسي لمجمع غانا الفكري في خلق تواصل وثيق وفعال بين الناس في مواجهة الأحقاد العرقية والعنصرية والحواجز الجغرافية والصراعات. فمن خلال إعادة تشكيل مراكز الأبحاث لتضم مجموعات من المواطنين العاديين القادرين على حل مشاكل معقدة، فنحن نقوم بإعادة تعريف مفهوم مجمع التفكير أو مركز الأبحاث من نخبة متعلمة تدعي بأنها تنصح غرباء مستضعفين إلى مجموعة من المواطنين المحليين القادرين على حل المشاكل العالمية باستخدام الحكمة المستمدة من تجاربهم اليومية.

التكتيكات الأساسية

تشويش ثقافي

يتعرض مجمع غانا الفكري لمعايير التنمية الدولية من خلال التشويش الثقافي. مثالا عن ذلك، قمنا بدعوة أحد الناجين من الهولوكوست من هولندا لقص شريط افتتاح مسجد آن فرانك في فلسطين قائلة «»إن قمتم ببناءه، فسأقص شريط الافتتاح».

المبادئ الأساسية

قلب المنضدة رأساً على عقب

من خلال تعريف مفهوم «تطوير العالم الأول»، يقوم مجمع غانا الفكري بقلب المفاهيم حول موازين القوى الاعتيادية بين «العالم الأول» و»العالم الثالث» مما يؤدي إلى عكس الواقع فيمن لديه «الخبرة».

التهكم يزعزع هيبة السلطة

يعطي مجمع غانا الفكري الضوء الأخضر لكل من مستشاريه الذين يدرسون المشاكل ويقدمون الحلول من المجمعات من أجل تقديم مقترحات تمردية والتي من شأنها زعزعة المنطق السائد والسلطة الثقافية التي تحدد أفق هذا المنطق. على سبيل المثال، اقترحت مجموعة من السكان المحليين المغاربة على الأمريكيين قراءة القرآن والتفكير في الثورة لمدة ١٠ دقائق يوميا، الاقتراح الذي رفضته وزارة الخارجية الأمريكية والتي كانت شريكاً لهذه المبادرة في المغرب، وبالرغم من رفضهم فقد قمنا بتبني المقترح على كل حال.

التضامن لا المعونة

يتساءل الناس حول فاعلية المساعدات الدولية، وإن كانت تقدم المساعدة حقا أم تلحق الضرر بالمشكلة التي تسعها إلى حلها. وكما هو الحال، فإن المساعدات الدولة تسبب الأذى لأنهم لا يتساءلون عن طبيعة هذه المساعدات. فبدلا من المجيء إلى دول الجنوب العالمي تحت شعار «نحن هنا للمساعدة»، يقوم مجمع غانا الفكري بالتحاور مع الناس حول أفضل أفكارهم عوضاً تقديم حلول جاهزة قد تزيد من حدة المشاكل نفسها. فيقترح المجمع مبدأ التضامن بدل تقديم الإعانة وبذلك يقوم معاملة الناس وتجاربهم ومعرفتهم كمورد للحلول بدلا من وضعهم في ثوب الضحية.

المنهجية الأساسية

بحوث العمل التشاركي

تقوم مبادئ «بحوث العمل المشترك» (Participatory Action Research-PAR) بتوجيه عملنا كالذهاب للقاء الناس في أماكن تواجدهم وضمن إطارها الزمني الخاص، فمثلاً قمنا بتنظيم استطلاع للرأي للناس على مواقف الباصات. وبالتالي، فإننا نحاول أن نطلب من الناس المشاركة في مبادرتنا في أوقات فراغهم وتكون كافة متطلباتنا متكافئة مع طبيعة العلاقة التي نبنيها معهم.

✓أسباب النجاح

تم تنفيذ مفهوم مجمع التفكير بطريقة ذكية حيث قام مجمع غانا الفكري بعكس الواقع بشكل رمزي وفي ذات الوقت تقديم حلول عملية وملموسة. بالرغم من أننا لا نثق بنموذج التنمية الدولي الا أننا نستمر في مماشاته لأن مجمع غانا الفكري يتعرض لنموذج التنمية الدولي من خلال أفعال مبتكرة تعري الامبراطوريات من ردائها الزائفة وتستمر بانتقادها للكشف عن مزيد من التفاصيل السخيفة التي تشكل جزءا من نموذج التنمية الدولية والذي يخدم مصالح تلك «الإمبراطوريات».

من خلال العمل خارج الأعراف التي تحكم عمل المنظمات غير الحكومية والأوساط الأكاديمية والحكومات وغيرها من الأطر الرسمية، نستطيع التطرق لمشاكل قد لا يلامسها الآخرون أو حتى تلك التي لا يمكنهم رؤيتها. تتم معالجة هذه المشاكل بطريقة لا يمكن تخيلها أو توقعها، مما يشجع التواصل العابر للثقافات التي من شأنها أن تكون صعبة المنال بغير العادة.

X معوقات النجاح

عندما تفشل مبادرة ما، تكون عادة بسبب فشل الفريق بالقيام بالتنظيم المجتمعي اللازم وبناء العلاقات في بداية المبادرة. إن بناء العلاقات العميقة والحقيقية في المجتمع المقصود مساعدته عنصراً حرجاً. من جانب آخر، من الصعب على القائمين على المشروع تحقيق التوازن الصحيح بين أدوارهم المزدوجة ميسرين/مراقبين من جهة ومنفذين في نفس الوقت، ناهيك عن لعبهم دور توجيهي دون التدخل في مسار العملية.

«يعتبر المشروع مزيجا جريئا من الاستفزاز الرمزي وحل لمشكلات حقيقية».

مانيش مسامح

باتت الأنظمة الحاكمة في الشرق الأوسط وأفريقيا أكثر دهاء بعدما واجهت التحركات الشعبية التي اشتعلت خلال العقد الماضي. من مصر إلى زيمبابوي، تم احتواء العديد من الثورات التي بدت مبشرة، عبر إعادة تدوير متعمدة لأركان السلطة القائمة بهدف الحفاظ على الوضع الراهن (**الدولة العميقة :نظرية** انظر). رغم عدم حدوث هذا في تونس، لحسن الحظ، إلا أن النخبة الحاكمة التي كانت مقربة من الرئيس المخلوع زين العابدين بن علي سعت للوصول إلى ترتيبات تخدم مصالحها.

عام ٢٠١٥، اقترح الرئيس التونسي الأسبق الباجي قايد السبسي «قانون المصالحة المالية» الذي كان سيعفي رجال الأعمال والمسؤولين الفاسدين من الديون والضرائب المترتبة عليهم للخزينة، ويساعدهم في الإفلات من العقاب. قوبل المقترح برفض واسع تحت شعار «لا مصالحة قبل المحاسبة»، وولدت حركة شبابية عرفت باسم مانيش مسامح (أي «لن أسامح»).

أصبحت المعركة حول القانون أشبه بنزال في حلبة الملاكمة، واضعة القوى الرأسمالية في مواجهة القوى العمالية والتقدمية، بينما كان البرلمان بمثابة الحكم. هدد أصحاب الأعمال بسحب استثماراتهم إن ألغي مشروع القانون، مستغلين التدهور الاقتصادي عقب ثورة تونس عام ٢٠١١ (**تعليمات الصدمة :نظرية** انظر). في الوقت ذاته، وفي ظل تفاقم الظروف الاقتصادية الوخيمة التي أدت إلى اندلاع الثورة من بطالة وفقر وتضخم، أعلنت أغلبية الشعب عن معارضتها للقانون.

رغم شراسة مشاعر العداء الشعبي ضد القانون، اعتمدت المعارضة التقليدية إطار عمل بالٍ وغير فعال يرتكز على إصدار المنشورات الصحفية وعقد الندوات. خيب هذا المنهج آمال مجموعة من شباب وشابات المعارضة ودفعها للإبداع. فبدلا من توزيع المنشورات، قامت بتوزيع قمصان تحمل شعار حملتها (**توزيع متطور للمنشورات :تكتيك** انظر)، وجعلت تصميم الشعار متاحا لاستخدام عامة الناس. لاقت هذه القمصان رواجا واسعا، وصار الناس يتجولون مرتدين شعار الحملة (مطرقة القضاء) الذي أصبح رمزا لمطالبتهم بالعدالة الانتقالية (**الدلالة العائمة :نظرية** انظر)

كما قامت هذه المجموعة بإعادة كتابة الأغاني الشعبية واستخدام الكاريكاتورات والشعارات الساخرة لإيصال رسائلها بدلا من إلقاء الخطب الطويلة الرنانة . لتقوم بعدها بنقل حملة مانيش مسامح من الأنترنت إلى الشارع، وتجنيد الشعب عبر جميع الأزقة والأحياء.

في البداية، شبه السياسيون الداعمون لقانون «المصالحة المالية» هذه الحركة ب»مجموعة من الأطفال التي تمرح في الشوارع» (**الجيرونتقراطية [حكم المسنين] :نظرية** انظر)، ولكن سرعان ما تصاعدت تكتيكات الحركة مثبتة العكس. فقد أدى رواج القمصان والاصطفاف الشعبي تحت شعار الحملة إلى إضفاء شعور بالانتماء شبيه بانتماء مشجعي كرة القدم لفرقهم (**لنحدد هويتنا قبل أن يحددها الآخرون: مبدأ** انظر). وردد انتشار الأهازيج الساخرة أصداء رسالة الحملة لتعم أرجاء البلاد. (**التحضير للتغطية الإعلامية: مبدأ** انظر).

تضافرت جهود الاتحاد العام التونسي للشغل مع العديد من النقابات الكبرى في البلاد لتعبئة الجماهير، بينما قدمت نقابات أخرى كالنقابة الوطنية للصحفيين التونسيين الدعم اللوجيستي والحماية. انضمت العشرات من منظمات المجتمع المدني على اختلاف انتماءاتها السياسية إلى الحركة. وكانت هذه المرة الأولى التي تتوحد فيها جهود قوى المجتمع المدني منذ قيام الثورة.

عام ٢٠١٥، تظاهر قرابة ٣٠٠ شخص ضد مسودة القانون الأولى، لكن عنف الشرطة بحقهم أثار موجة غضب عارمة وجلب مزيدا من التعاطف مع الحركة (**الفزعة :نظرية** انظر). تم عرض مشروع القانون، وتعديله، واقتراح إجراء قراءة ثانية له سنة ٢٠١٦. قوبل ذلك برفض أكبر من المجتمع المدني. ثم عُرض للمرة الثالثة، وأعيدت صياغته، حتى تم إقراره عام ٢٠١٧ باسم «قانون المصالحة الإدارية».

لم تستطع الحركة إلغاء القانون بالكامل، لكنها نجحت في تقليص الكثير من الإعفاءات المقترحة في المسودة الأصلية. الأهم من ذلك كان قدرة الحركة على تعميم الأساليب التنظيمية الإبداعية والجاذبة، إضافة إلى أنها وحدت مختلف ألوان الطيف السياسي تحت شعار واحد، وسهلت تبادل المعارف بين النشطاء وأثرت خبراتهم/ن في مجالي التخطيط الإستراتيجي وبناء التحالفات. سوف تفكر الزمرة المتنفعة الفاسدة كثيرا ومطولا قبل أن تحاول التلاعب بالشعب التونسي مرة أخرى.

النظرية الأساسية

تناقضات الهوية السياسية

كم مرة تلقيت منشورا وقمت برميه في أقرب سلة للمهملات؟ لم يكن توزيع القمصان مجرد هدية ترويجية أثارت اعجاب الناس، بل لباسا عمليا يمكن ارتداؤه في أي مكان. أصبح اعلانا متنقلا أثار اهتمام الناس للحصول على قميصهم/ن والانضمام للحركة.

التكتيكات الأساسية

توزيع متطور للمنشورات

كم مرة تلقيت منشورا وقمت برميه في أقرب سلة للمهملات؟ لم يكن توزيع القمصان مجرد هدية ترويجية أثارت اعجاب الناس، بل لباسا عمليا يمكن ارتداؤه في أي مكان. أصبح اعلانا متنقلا أثار اهتمام الناس للحصول على قميصهم/ن والانضمام للحركة.

المبادئ الأساسية

التركيز على الاحتياجات الأساسية

من خلال التركيز على قضايا كأسعار الكهرباء والسلع الأساسية، والأجور المنخفضة ومعدلات البطالة المرتفعة، خاطبت الحملة المخاوف اليومية لشريحة واسعة من المجتمع، من الأهالي إلى الطلبة إلى كبار السن، وهي شريحة أوسع من التقدميين المألوفين الذين اعتادوا إلى الخروج في المظاهرات.

✓أسباب النجاح

كانت الحركة لا مركزية، وغير هرمية، ولم يكن لها متحدثون رسميون. كان لها مطلب واحد -»لا مصالحة قبل المحاسبة!»- وكل من آمن بهذا المبدأ كان مرحبا به حسب مقدوره وبطريقته الخاصة. فقد عرض المحامون الدعم القانوني والتقني، وتحدث الكوميديون عن القانون في عروضهم، وقدم الصحفيون التغطية الإعلامية. انضمت المجموعات الحقوقية بمختلف أطيافها من الحركات الجندرية إلى البيئية، وتم تسخير جميع المهارات والموارد لصالح الحركة.

أدى تنوع الحركة وانفتاحها الواسع إلى أن تكون جامعة، وكان المطلب محددا فكسبت الحركة ثقة الناس. كان هذا التوازن محفوفا بالمخاطر ولكن حاسما في الوقت نفسه. فانفتاح الحركة جعلها عرضة للاختطاف، ولكن كلما زعم بعض المشاركين القيادة أو أدلوا بتصريحات ثانوية، كانت الحركة تعتبر هذه الحوادث بمثابة أخطاء بريئة، وتدعو إلى التركيز على الهدف الأساسي.

X معوقات النجاح

وفقا لقادة الحركة، ساهم عاملان في فشلهم في إلغاء مشروع القانون بالكامل. أولا، كان لابد من بناء التحالفات بشكل قصدي خلال مراحل مبكرة من الحملة. ثانيا، قام البرلمان، في خطوة متهورة وغير مسبوقة، بجدولة القراءة الثالثة خلال عطلة وطنية دون إنذار. وبالتالي، لم تكن الحملة قادرة على الاستجابة الفورية.

«أدى رواج القمصان والاصطفاف الشعبي تحت شعار الحملة إلى إضفاء شعور بالانتماء شبيه بانتماء مشجعي كرة القدم لفرقهم».

تخرج الشوارع

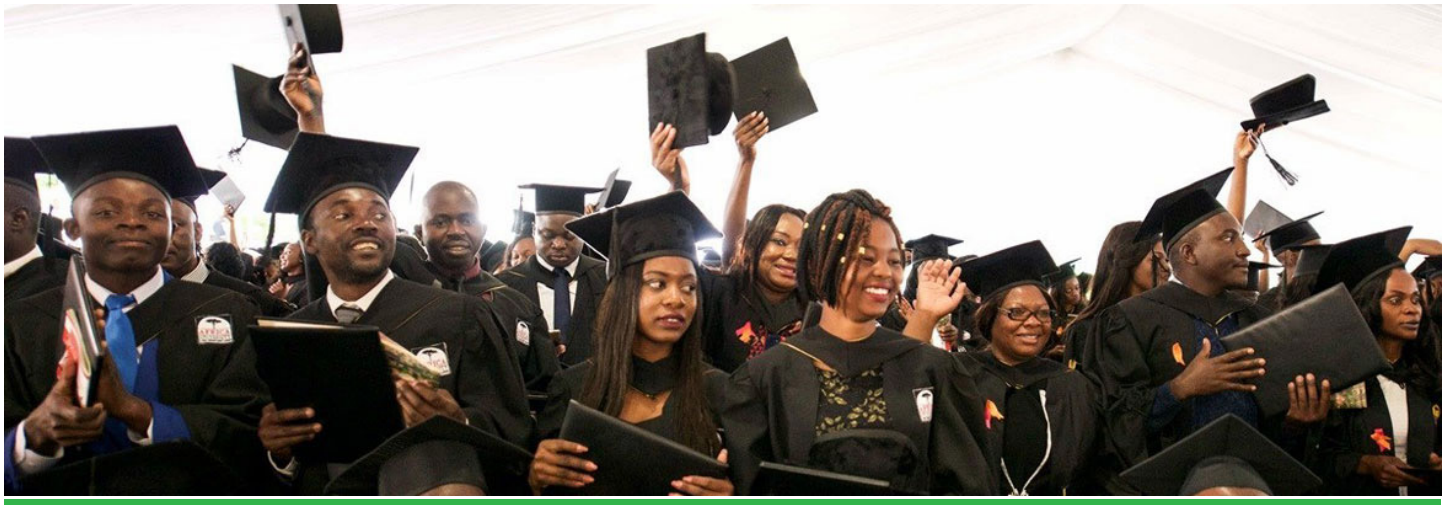

حفل تخريج في جامعة أفريقيا الكائنة في مدينة موتار/زيمبابوي عام 2018

تعد معدلات محو الأمية في زيمبابوي من الأكثر ارتفاعاً في القارة الأفريقية، إلا أن سنوات من سوء الإدارة الاقتصادية والعقوبات ورطت البلاد في أزمة مالية لا مفر منها. سنة ٢٠١٣، وعدت الحكومة توفير مليوني وظيفة ومع ذلك لم تزداد الأزمة إلا سوءاً مما حفز مجموعة من الشباب البطالين عن العمل إلى تنظيم احتجاجات ضد البطالة سنة ٢٠١٦ مطالبين فيها فرص للعمل والعيش الكريم. كانت نسبة البطالة في زيمبابوي آنذاك تعد من أكثر النسب ارتفاعاً في أفريقياً.

في ذروة الأزمة، أصبحت أغلبية الخريجين الحاصلين على شهادات جامعية وشهادات الدراسات العليا والدكتوراه إما عاطلين عن العمل أو عاملين في مجالات غير اختصاصهم مثل بيع الخضروات والجرائد ليتمكنوا من كسب قوتهم اليومي (**التركيز على الاحتياجات الأساسية :مبدأ** انظر).

تمثلت فاعلية الحملة بثلاثة عناصر وهي البساطة والابداع والمثابرة مما أثر على الرأي العام ووضع النظام في موقف دفاعي محرج.

أصبحت مراسم التخرج فرصة احتجاجية للخريجين للتعبير عن احباطهم، فكثيراً ما ترى البعض رافعين لافتات تندد بالبطالة وسوء إدارة الدولة للاقتصاد مفتعلين بذلك بلبلة لإعاقة سير الحفل. ولكن، سرعان ما تبين أن هذه الاحتجاجات غير فعالة كونها ارتجالية وفردية وبالتالي فكان لا بد من إسناد هذا التكتيك اليتيم بتكتيكات إضافية.

قامت مجموعة من الشباب عام ٢٠١٦ باطلاق حملة سميت بـ الخريجين المتعطلين (unemployed graduates). بناء على تجاربهم السابقة، كانوا مدركين لضرورة توظيف أساليب احتجاج بارزة ومستدامة اذا ما أرادوا التأثير بشكل مباشر على الرأي العام. لتحقيق ذلك، حولوا معاناتهم الشخصية إلى قضية سياسية (جعل ما هو شخصي سياسياً :مبدأ انظر).

انتشرت الحملة بين الباعة المتجولين الذي أخذوا بتأدية وظائفهم اليومية — كبيع الخضار والفواكه والجرائد — مرتدين أثواب التخرج وسرعان ما انضم لهم آخرون من الخريجين. لم تكن سهولة تنفيذ التكتيك بشكل فردي ومستقل هي المسألة الوحيدة التي ساهمت في انتشار التحرك (**الاستراتيجيات التنظيمية القابلة للانتشار :مبدأ** انظر) وإنما أيضاً شعورهم بالأمان لانتمائهم لتحرك جماعي. انضم لهم بعد ذالك الخريجون العاملون كسائقي في النقل العام (والذين يعرفون ك كومبي بالدارجة الزيمبابوية وماتاتو أو دالادالا بالسواحيلية) مرتدين هم أيضاً أثواب التخرج أثناء قيادتهم لمركباتهم (**لنكشف انعدام المساواة بلفتة جريئة :مبدأ** انظر).

نظرا لاتساع نطاق المشاركة في التحرك وجانبه الإبداعي، جذبت الحملة انتباه كبير مما زاد من زخمها وشعبيتها على مستوى وطني. فبدأ الشباب العاطلين عن العمل بتنظيم مباريات كرة القدم في أحياء مدينة هراري وهم مرتدين لأثواب التخرج كدلالة لبطالتهم حيث تعد كرة القدم في زيمبابوي، وفي دول الجنوب العالمي بشكل عام، لعبة يلعبها الأطفال في الشوارع خلال فترة العطلة الدراسية مما يشير إلى أن ليس لديهم ما يفعلون سوى ذلك. وبذلك، استغلت المجموعة المعاني الشعبية المتعارف عليها في المجتمع لإيصال رسالتهم بشكل فعال (**اعرف/ ي تضاريس ثقافتك :مبدأ** انظر).

تمثلت فاعلية الحملة بثلاثة عناصر وهي البساطة و الإبداع والمثابرة مما أثر على الرأي العام ووضع النظام في موقف دفاعي محرج. فمن سخرية القدر أن ترد الدولة على هذا الحس من الدعابة بحملات اعتقال لالخريجين المتعطلين تحت تهمة «الإزعاج العام» إلا أن المحكمة قد أفرجت عنهم بعد أن إصدار قرار ببراءتهم.

التكتيكات الأساسية

الهجاء

من خلال ارتداء أثواب التخرج أثناء أدائهم لأعمالهم اليومية، استطاع المتخرجون المتعطلين العمل الكشف عن ارتفاع معدلات البطالة بأسلوب جريء وساخر في ذات الوقت. ساهمت الفكاهة نشر قضيتهم على نطاق واسع بين زملائهم الخريجين وكذلك بين المواطنين ووسائل الإعلام، مما زاد الضغط على الحكومة وأجبرها على الرد.

المبادئ الأساسية

لنكشف انعدام المساواة بلفتة جريئة

امتازت حملة ارتداء أثواب التخرج بشدة بساطتها وقلة خطورتها وحسها الإبداعي مما سهل انخراط الخريجين فيها وتنفيذهم للتكتيك بشكل مستقل في كافة أرجاء البلاد. كانت هذه المكونات حاسمة في قابلية التكتيك على الانتشار.

✓أسباب النجاح

تمثل هدف مجموعة المتخرجين البطالين في اثارة الخطاب العام حول قضية ارتفاع معدلات البطالة كقضية موحدة تم وضعها في قلب النقاش الوطني بصفة مستدامة مما كان عاملا أساسيا لنجاحها. إن استخدام إجراءات منخفضة المخاطر وسهلة التكرار كان قادرا على تحويل رسالتهم إلى فيروس، مما أجبر الحكومة على الاستجابة.

X معوقات النجاح

لم تعد الحكومة تشعر بإلحاح بعد انحسار وتيرة الاحتجاجات مما مكنها من تجاهل الأزمة. علقت الحكومة كافة الإجراءات التي كانت قد أعلنتها في بادئ الأمر استجابة للحملة وبعد ذلك قامت بالتراجع عن تعهداتها بالكامل.

«تمثلت فاعلية الحملة بثلاثة عناصر وهي البساطة والابداع والمثابرة مما أثر على الرأي العام ووضع النظام في موقف دفاعي محرج».

هذا_العلم

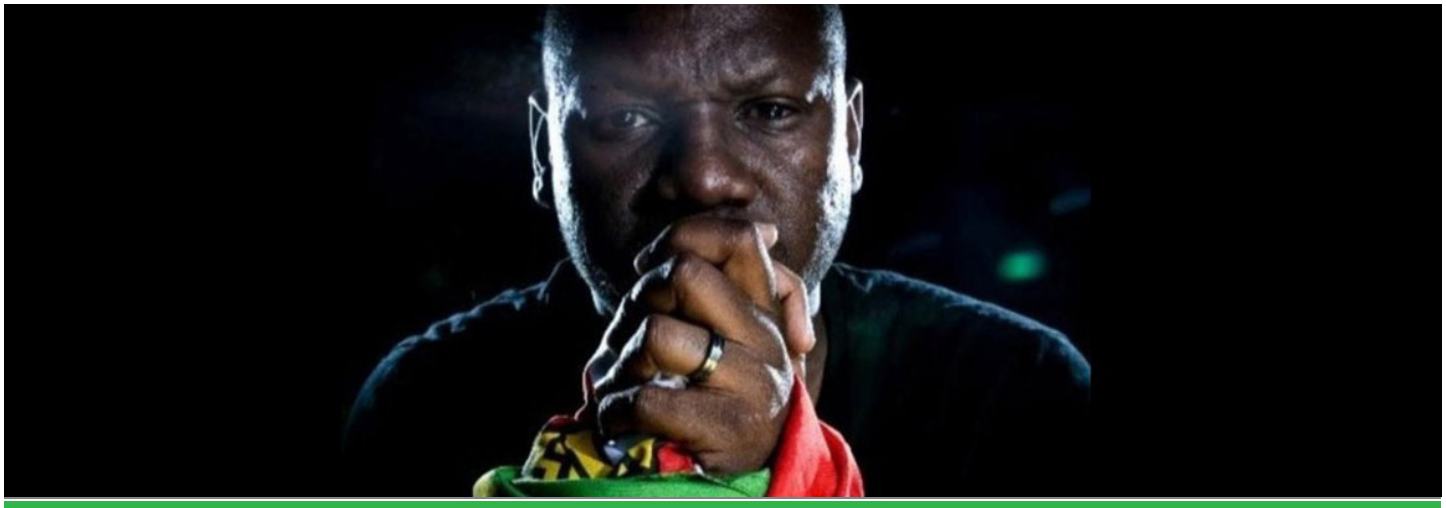

القس ايفان ماواريري يحتضن علم زيمبابوي تمسكاً بمعناه كرمز للحرية والكرامة

«إن لم نستطع أن نلهم السياسيين لإحداث التغيير، فعلينا إلهام المواطنين التحلي بالشجاعة.» - ايفان ماواريري

ابتدأت القصة يوم الاثنين الموافق ١٩ نيسان (أبريل) لعام ٢٠١٦. بدا ذلك اليوم كغيره من الأيام، ولكنه سرعان ما أمسى عكس ذلك تماماً. جلست في مكتبي في الكنيسة بعد نهار طويل من العمل لأجد حلاً يسعفني على تغطية رسوم تعليم بناتي الصغيرات. كانا الإنجيل وعلم زيمبابوي أمامي يحدقان بي فيما أخذت أفكر بتاريخ بلادي.

قبل ذلك ببضعة أشهر، كان قد شهد البنك الاحتياطي لزيمبابوي أزمة سيولة أدت إلى نفاذ احتياطي الدولار الأمريكي وبدء طباعة سندات بنكية. عبر الزيمبابويون عن سخطهم تجاه النظام السياسي بسبب الفساد وغلاء السلع الأساسية وتزايد نسبة البطالة التي بلغت ٩٠ بالمئة آنذاك (**التركيز على الاحتياجات الأساسية :مبدأ** انظر). ردا على الأزمة، أعلنت الحكومة عن خطتها لاستحداث عملة محلية جديدة والتي كانت ستلحق الضرر بالمواطنين الذين كانوا قد فقدوا قيمة مدخراتهم في محاولة مماثلة أجراها النظام خلال العقد الماضي.

في ضوء هذه الأزمة، لم أكن أستطع تغطية تكاليف دراسة بناتي وحسب، بل كنت أواجه احتمال حقيقي بأن أفقد قدرتي على توفير الطعام لعائلتي. لم أعد أطيق الحالة التي آلت إليها البلاد وكنت أريد أن أخبر الجميع بذلك! (**الغضب أفضل مع أخلاقيات عالية :مبدأ** انظر) أسندت هاتفي على الإنجيل واحتضنت العلم وبدأت بتسجيل فيديو تحدثت فيه عن معاني ألوان علم زيمبابوي ومن ثم قمت بتحميل الفيديو على حسابي على منصة تويتر.

تعلمنا في طفولتنا بأن اللون الأخضر في العلم يمثل وعد الازدهار من خلال الإنتاج الزراعي، والأصفر يرمز للثروة المعدنية والاحمر يعني الكفاح من أجل الاستقلال. أما اللون الأسود فيمثل كرامة السود والأبيض يشير إلى السلام. ومع ذلك، بات النظام يهدد حرفيا كل المعاني والرموز التي يحملها هذا العلم.

وفي ليلة وضحاها، بدأ آلاف الناس مشاركة الفيديو واعادة نشره على منصات التواصل الاجتماعي مثل فيسبوك ويوتيوب. تلقى الفيديو صدى كبيرا لأنه كان يحاكي آلام وآمال الزيمبابويون ويعكس الاحباطات والتطلعات التي تدور في وجدان المواطن العادي. لم يقتصر يتفاعل الناس مع الفيديو لأنه عبر عن واقعهم فقط، بل الأهم من ذلك لأنهم أرادوا استعادة تاريخهم. لقد فقد علم زيمبابوي معانيه الأصلية على مر العقود وتحول إلى رمز تستخدمه وتنتهكه النخبة السياسية الحاكم لاتهام المعارضين بالخيانة أو التأمر على البلاد. ولكن أراد الناس استرجاع وعد الإزدهار وإعادة إحياء معاني العلم ليصبح واقع زيمبابوي واقعاً مشرفاً. (**استرجاع العلم الوطني :مبدأ** انظر).

كنا على دراية بأن كل من حاول معارضة النظام في السابق قد اختفى أو أصيب بمكروه ما، ولكننا قررنا، أنا وصديقين، أن نضع خطة لاستثمار الصدى الناتج عن الفيديو وتحويل تلك الشرارة إلى أفعال على أرض الواقع. كبداية، مهمتنا كانت كسر الصمت تدريجيا لمجابهة الخوف الذي غرسته الدولة في قلوب المواطنين عبر انتهاج سياسية القمع والترهيب. طلبنا من الناس أن يتصورا وهم حاملون علم زيمبابوي ونشر صورهم على مواقع التواصل الاجتماعي مستخدمين عبارة «هاتيشادا، هاتيشاتيا» (Hatichada, Hatichatya) والتي تعني «لم نعد نتحمل، لم نعد نخاف» في لغة الشونا المحلية، مع وسم #ThisFlag (أي #هذا_العلم) (**حملات الهاشتاغ :تكتيك** انظر). بعد ذلك، تعهدنا نحن الثلاثة بنشر فيديو جديد كل يوم حتى ذكرى يوم أفريقيا (**بناء القوة من خلال التكرار :مبدأ** انظر). كنا نريد تشجيع الناس على تخيل المستحيل والتفكير في تحدي النظام كواجب أخلاقي وكفرض عين (كلنا قادة :مبدأ انظر).

في ذلك الوقت، كان التظاهر في الشارع ممنوعا وبالتالي كان نشر الصور أفضل طريقة للتجمهر الإفتراضي وبناء قوة جماعية عبر الإنترنت. وعندما نجحنا في ذلك، آن الآوان لترجمة هذه النشوة الافتراضية إلى عمل ميداني. انطلقت جملة من أفعال العصيان الذكية (**إن كان التظاهر ممنوعاً، فلنجعل الحياة اليومية تظاهراً :مبدأ** انظر). فعلى سبيل المثال، بدأ الناس يحملون علم زيمبابوي معهم إلى كل الأماكن من المدارس و الشوارع إلى المجمعات التجارية. بلغت حركة #ThisFlag ذروتها عندما أصبح الناس على استعداد لخوض المعركة في الميدان (Create online-offline synergy :مبدأ انظر).

في ٢٥ أيار (مايو)، أو يوم أفريقيا والذي يمثل اليوم الأخير من سلسلة الفيديوهات اليومية، بدأت الحركة في استهداف مؤسسات الدولة (**التصعيد الإستراتيجي :مبدأ** انظر) حيث تحدت الحركة رئيس البنك الاحتياطي للظهور في مناظرة عامة، وكم كانت دهشتنا كبيرة بقبوله التحدي. حضر المناظرة أكثر من ألف شخص في أول تجمهر فعلي للحركة. لم تتمكن الشرطة من فض التجمع لأننا عملياً تجمعنا بدعوة من أحد مؤسسات الدولة (**لنستخدم القانون لصالحنا:مبدأ انظر**). تلى ذلك مجموعة من التحركات وصولاً إلى **إضراب عام** في السادس من تموز (يوليو) ٢٠١٦. كانت الاعتصامات مازالت ممنوعة وفقاً للقانون، ولكن شارك حوالي تسعة ملايين شخص في الإضراب من جميع أرجاء زيمبابوي، مما تسبب في شلل تام للحياة اليومية على مستوى وطني.

وفي تشرين الثاني (نوفمبر) ٢٠١٧، في أعقاب حركة #ThisFlag، اندلعت هبة واسعة من المظاهرات بقيادة مجموعات وحركات شبابية مؤدية للإطاحة بالرئيس روبرت موغابي الذي حكم البلاد بقبضة من حديد على مدى ٣٧ عام.

إن حركة #ThisFlag، لا تتمثل في شخصي أنا ايفان ماواريري، وانما تمثل كل فرد قرر أخذ مسؤولية التصرف على عاتقه. تعتبر #ThisFlag حركة من كل ولكل مواطني زيمبابوي، وكل منظمة وحزب ونقابة زيمبابوية تحارب من أجل الحرية والحياة الكريمة. حققنا فوزا مهما في ٢٠١٧، ولكن أهدافنا الأكبر لم تتحقق بعد (**الدولة العميقة :نظرية** انظر) وبذلك يبقى كفاحنا مستمر.

النظرية الأساسية

الفزعة

استطاع حكم موغابي تطبيع غضب الناس على مر أكثر من ثلاثة عقود واضطر معظم الزيمبابويين للتعايش مع ظروف اقتصادية لا تطاق. ولكن كانت الأعمال الجريئة في مواجهة النظام (من الفيديوهات ومشاركة الصور الشخصية إلى التحركات على أرض الواقع فيما بعد) كفيلة بدغدغة عواطف الشعب مما زاد شعورهم/ن بضرورة التصرف الفوري حتى ولو كان تصرفاً مؤقتا. لعب هذا دورا حاسما في نجاح الإضراب الوطني الذي ضم ٩ ملايين مواطن/ة.

التكتيكات الأساسية

حملات الهاشتاغ

قمنا بصياغة الوسوم الرئيسية بحيث تعكس التأطير السياسي للحملة بصورة استراتيجية. ساعد وسم #ThisFlag (#هذا_العلم) استعادة الزيمبابويون فخرهم/ن بالعلم الوطني ومعانيه وتاريخهم/ن التحرري. أما بالنسبة للوسوم الفرعية #Hatichada (#هاتيشادا) و #Hatichatya (#هاتيشاتيا)، فخلقت شعورا بالانتماء إلى مجتمع مستعد للتحرك بشكل جماعي.

المبادئ الأساسية

الأمان في شبكات الدعم

عندما تم اعتقالي أول مرة، تجمع مئات الأشخاص خارج السجن للمطالبة بإطلاق سراحي (**التضامن داخل المُعتَقَل :تكتيك** انظر). فإلى جانب تصوير حادثة الاعتقال في الكنيسة والبث المباشر للاعتصام أمام المحكمة، سلط هذا التضامن الضوء على الحراك بشكل أكبر مما وفر بعض الحماية للنشطاء من وحشية النظام.

التوقيت هو كل شيء

في ظل الظروف الاقتصادية في زيمبابوي، كانت الهبة الشعبية التي أضاءت شعلة حركة #ThisFlag والتي حققت الفوز بالنهاية بمثابة قنبلة موقوتة. قامت الحركة بتخطيط تصعيدها الإستراتيجي ليتزامن مع أيام وطنية مهمة مثل عيد الاستقلال. اضافة إلى ذلك، تمت الدعوة إلى الاضراب العام في الوقت التي نفذت فيه أموال الحكومة وتوقفت عن دفع رواتب موظفي الخدمة المدنية والمعلمين وكثفت المضايقات تجاه سائقي الحافلات الصغيرة وسيارات الأجرة مما زاد من شعور الإلحاح للتحرك.

✓أسباب النجاح

سمح الإنترنت للناس التعبير عن غضبهم دون المجازفة بالاصطدام المباشر مع النظام باعتباره مساحة آمنا للمشاركة والتعبير عن الرفض الشعبي حيال الوضع الراهن للبلاد. عندما حاول النظام اعتقالي أثناء إلقائي خطبة في الكنيسة، قام الحاضرون ببث مباشر للحادثة على مواقع التواصل الاجتماعي فأصبح النظام يتصرف وكأنه تحت المراقبة (**قلب المنضدة رأساً على عقب :مبدأ** انظر). تم استخدام منصات التواصل الاجتماعي بشكل فعال كوسيلة للرقابة الشعبية على ممارسات الدولة مما مكن الناس من المخاطرة بحذر (**لنخاطر ولكن بحذر :مبدأ** انظر).

ابتعد **تأطير** الخطاب عن اهانة والتهجم على موغابي وغيره من المسؤولين بصورة شخصية. بدلا من ذلك، ركزنا على تناول المخاوف اليومية للناس وسبل انخراطهم في العمل بطريقة من شأنها إحداث التغيير في الوضع القائم. استطاع الإنترنت توفير شيئاً من لأمان والحماية للمعارضين والحفاظ على وحدة خطاب المعارضة كما ساعدنا في قرأة الحالة وتحديد اللحظات المناسبة **للتصعيد الاستراتيجي**، الشيء الذي ساعد على بناء ثقة الناس في الحركة تمهيدا لتحرك جماعي أوسع.

«بلغت الحركة ذروتها عندما أصبح الناس على استعداد لخوض المعركة في الميدان».

منهجيات

هي الإطارات الاستراتيجية و التدريبات العملية التي تساعدك في تقييم موقفك و التخطيط لحملتك

بارازا (الديوانية)

«يمكن لعدد قليل من الناس تغيير العالم بالعمل الشعبي.» ـ وانغاري مآتي

الأصول:

بارازا هي كلمة في اللغة السواحلية تستخدم لوصف لقاءات مجتمعية حاشدة وتشكل جزءا تاريخياً من نسيج الحياة القروية في شرق أفريقيا. سبقت هذه الممارسة الاستعمار الأوروبي بمدة طويلة. تقوم العديد من الشعوب حول العالم وخاصة في الجنوب العالمي بإقامة تجمعات مشابهة مع اختلاف أسمائها وأشكالها.

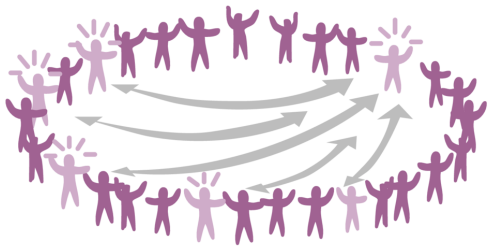

بارازا هي عبارة عن لقاء مجتمعي حاشد يعقد دورياً لمناقشة القضايا المهمة، ومشاركة المعلومات، ومراقبة أداء القادة ومساءلتهم/ن. يشارك في البارازا مئات السكان المحليين وفي بعض الأحيان تصل الأعداد إلى آلاف المشاركين. عادةً ما تستفيد المنظمات والحركات من هذه المساحات لتداول قضايا حرجة مثل تثقيف السكان حول الممارسات الصديقة للبيئة للتخفيف من آثار التغير المناخي، أو إيجاد حلول مجتمعية للعنف المنزلي، أو حتى لفضح ومحاسبة زعيم محلي فاسد.

غالبا ما يرفض غير المؤهلين من موظفي الدولة والجشعين من رجال الأعمال والمخادعين من السياسيين المشاركة في ال بارازا، خوفا من العار الذي قد يلحق بهم/ن بسبب سوء أعمالهم/ن. أما إذا امتلكوا قدراً كافياً من الشجاعة للمشاركة في مثل هذه التجمعات، فعادةً ما يجبرون على التعويض عن تجاوزاتهم/ن وإصلاح المسار.

إن ال بارازا لا تمثل معركة الخير ضد الشر، بل في العديد من الأحيان تستخدم هذه التجمعات لإيجاد حلول جماعية وجذرية لمشاكل يعاني منها المجتمع. وبعد ذلك، يتم تكليف عدد من الفرق بمسؤوليات محددة لتنفيذ المقترحات المتفق عليها. تضمن هذه الإجراءات الحفاظ على ال بارازا كآلية أفقية وتشاركية لتنظيم قضايا المجتمع.

قام سكان بلدة أبيم في أوغندا بتوظيف ال بارازا للتأكد من استخدام موظفي الدولة لإيرادات الضرائب بطريقة مسؤولة مما أدى إلى تحسين البنية التحتية والطرقات والجسور.

في الفترة ما بين ١٩٨٦ و ١٩٩٢، تم استخدام الديوانيات — وهي عبارة عن مضافة تابعة للمنزل يتم استضافة التجمعات المحلية فيها — من قبل الحراك المعني بحماية الدستور في الكويت رداً على منع الدولة للمظاهرات وتعليق الدستور. تتميز الديوانيات بعدم تدخل الشرطة في شؤونها نظراً للعادات والأعراف المجتمعية السائدة. تمكن الحراك من توظيف الديوانيات كمساحات للتعبئة الشعبية والتنظيم، الشيء الذي ساهم في إعادة تثبيت الدستور.

نظم العديد من البشر في أماكن كثيرة حول العالم تجمعات شبيهة بال بارازا تحت مسميات مختلفة مثل «انديغنادوس» في إسبانيا، و»مجالس البلدية» في مختلف الولايات الأمريكية، و»الديوانية» في بعض أنحاء العالم العربي حتى صارت ال بارازا تعبيراً عن الاحتياج الإنساني للتجمع والانتماء والعمل من أجل مجتمع أفضل.

ما الذي يعادل فكرة بارازا في ثقافتك المحلية؟ ؟ ما هو التقليد الأفقي والتشاركي الذي نشأ عبر التاريخ في مجتمعك؟ وكيف يمكن تسخيره لإحداث التغيير؟

كيف تستعمل

تتعدد تسميات بارازا وطرق تنظيمها من سياق إلى آخر. ولكن، بالمجمل، يمكننا تلخيص بعض خطواتها التنظيمية كالآتي:

١. مرحلة التخطيط: يحدد الفريق التنسيقي الوقت والمكان وجدول الأعمال.

٢. مرحلة الإعلان: يتم إعلام الجماهير، فمثلا في بعض المجتمعات الريفية، يتم ذلك من خلال إلصاق المناشير على الأشجار أو على لوحة إعلانات أو في مكان مركزي. هذا بالإضافة إلى التسويق الشفهي لضمان الإقبال الجماهيري. اليوم، تعتبر منصات التواصل الاجتماعي مثل الفيسبوك والرسائل النصية أدوات مهمة للإعلان عن هذه التجمعات.

٣. مرحلة انعقاد الجلسة: من المتفق عليه عموما الفرضية القائلة إن الحاضرين هم الأشخاص الأكثر اهتماما والتزاماً باللقاء وأهدافه وبالتالي يمكن الاعتماد على مشاركتهم لإنجاح اللقاء. إن عملية تيسير النقاش في ال بارازا ليست صعبة لأنها تعتمد بالأساس على الحوار وعلى مشاركات الحاضرين، ولكن من المفيد وضع تصور عام لسير الجلسة.

٤. مرحلة متابعة: إن كان ذلك مناسبا، أخبر/ي المشاركين بوقت ومكان انعقاد ال بارازا القادمة. من المهم تشجيع الحاضرين على دعوة أشخاص آخرين للمشاركة.

المخاطر المحتملة

قد تفشل ال بارازا بسبب فقدان المعارضين السيطرة على آلية التنظيم. مثلا ، تعقد الحكومة في كينيا اجتماعات بارازا في أصغر المناطق الإدارية لإبقاء السكان على اطلاع حول المطاعيم والممارسات الزراعية الحديثة والبرامج الحكومية الأخرى. ولكن، تم استغلال ال *بارازا من قبل الحزب الحاكم — الاتحاد الوطني الأفريقي الكيني (KANU) — خاصة في التسعينيات أثناء دكتاتورية دانيال آراب موي، عندما كان الحزب أداة للبروباجندا الحكومية. لنتذكر بأن المساحات المفتوحة للملأ تصبح عرضة للاختراق من قبل المتسللين عندما نغفل عن وضع رؤيا إستراتيجية تحمي مصالح أعضاء هذه المساحات المجتمعية.

«تعد ال *بارازا* آلية أفقية وتشاركية لتنظيم قضايا المجتمع».